ارشاد المسلمين
في
الرد على القبوريين

«(من فتاوى العلامه)»

﴿ الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر ﴾

رحمه الله

على مطابع مؤسسة النور للطباعة والتجليد الرياض
الوسيطى شارع الامام احمد بن حنبل ☎ ٢٩٤٥٢
بتاريخ ١٥ / ٢ / ١٣٩٣ هـ

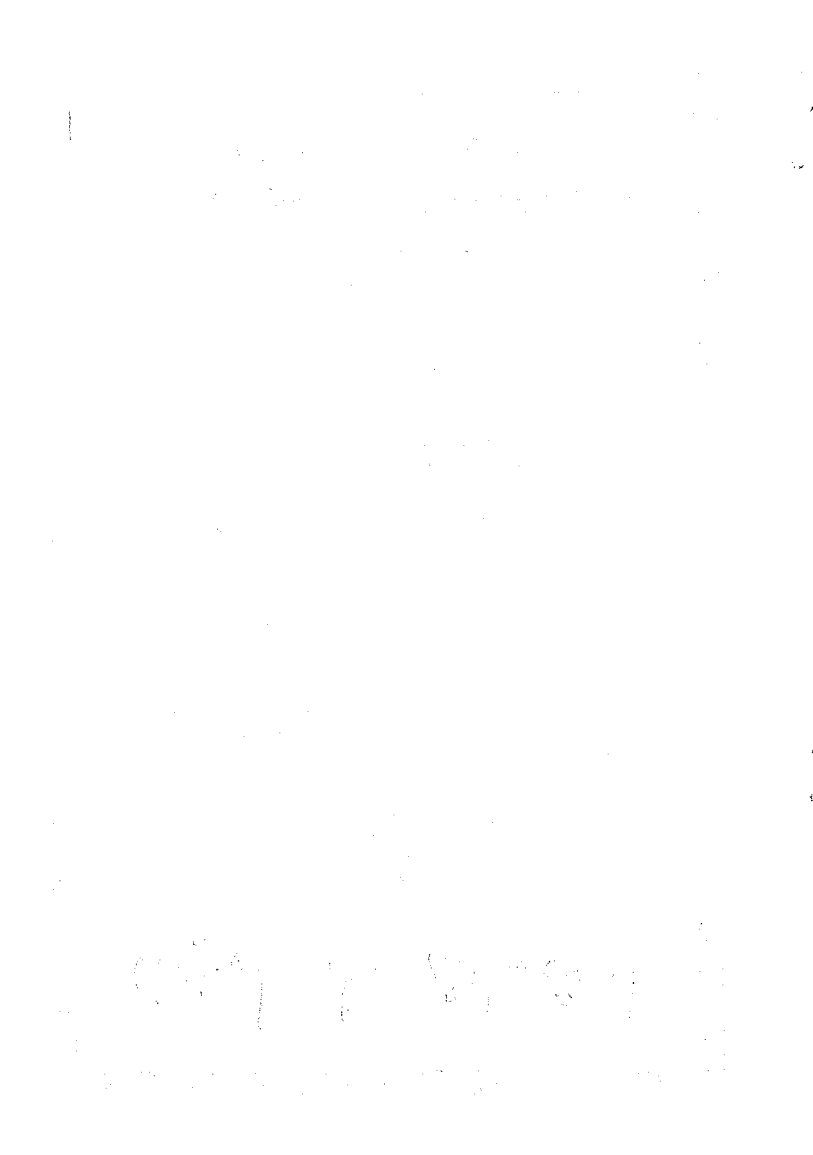

مقدمة

بقلم
علي الحمد الصالحي

بسم الله - والحمد لله - وصلى الله وسلم على نبينا محمد مصطفاه ، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعد فهذه كلمة عن مؤلف هذه الرسالة القيمة في بابها، احببنا ان نعطي القارىء فكرة عن مؤلفها وعن مكانته العلمية والعملية.

ذكره مؤلف مشاهير علماء نجد في ترجمة حافلة ، وذكر مشائخه وتلامذته ونسبه .

وذكره مؤلف الدرر السنية في جملة من ترجم له في الجزء الحادي عشر ونحن سنحاول ان نلخص شيئا مما ذكراه

فالشيخ حمد بن عثمان بن ناصر بن معمر التميمي من آل معمر اهل العيينه عاصر شيخ الأسلام (محمد بن عبد الوهاب) ويعتبر من اخص تلاميذه؛ ومن خاصته الذين نزحوا اليه بعد استقراره في الدرعية بدافع المحبة والولاء .

كما عاصر ائمة الدعوة الامام محمد بن سعود، والامام عبد العزيز بن محمد، والامام سعود بن عبد العزيز، ولم يزل ملازما لشيخ الأسلام في الحل والترحال ينهل من علومه العذبة الصافية حتى نبغ وبز اقرانه . وخاصة في علم التوحيد الذي هو بالنسبة للعلوم الأخرى كالرأس من الجسد ، ومع ما كان مرموقاً به من شرف العلم فقد كان له شرف النسب العريق .

فلما افلت شمس شيخ الاسلام (محمد بن عبد الوهاب) بزغت نجوم تتلاء في سماء شرف العلم والزهادة، من ابناء الشيخ واحفاده وتلامذته من بينها الشيخ (حمد بن ناصر) يضيء في علمه وعمله وسلوكه إضاءة القمر للسائرين، ورعى الأئمة فيه الكفاءة فوكلوا اليه مهمات رسمية من اتصالات ومشاورات وفتاوي وتدريس في زمن الامام عبد العزيز، واسند اليه القضاء في زمن الأمام سعود، .

ولما فيه من الخلال الحميدة كان موضع الثقة والتقدير .

لذلك لما طلب امير مكة المكرمة (غالب بن مساعد) سنة ١٢١١ ارسال لجنة من العلماء لمناظرة علماء الحرم الشريف في مسائل العقيدة ارسل الامام عبد العزيز هذا الفحل من العلماء رئيساً للوفد. فحصل به النفع المقصود واقتنع علماء الحرمين بأجوبته الواضحة التي حملتهم على ان طلبوا منه كتابة ما اقتنعوا به في رسالة ــ سميت « الفواكه العذاب ــ في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب » وقد طبعت عدة مرات ؛ وله كتابات كثيرة جلها في التوحيد ــ والدفاع عن العقيدة الصحيحة ورد البدع .

ورغم كثرة مشاغله في التدريس والقضاء والمشاورات والفتاوى في الدرعية في زمن الامام سعود، فقد قام مقام السفير بين الامام سعود وامير مكة ـ غالب ـ حتى تم الصلح على يده، لما وهبه الله من العلم والبيان والحكمة .

ثم لما كتب الله تمام الصلح على يده اراد الله له تتويج الفضائل التي حازها بفضيلة جوار بيت الله الحرام في آخر مضمار حياته .

فوصل الى مكة المكرمة سنة ١٢٢١ وشغل وظيفة الاشراف على القضاء بها حتى توفي بها في اول شهر ذي الحجة سنة ١٢٢٥

وهذه الرسالة من جملة الفتاوى التي وجهت اليه من اليمن سنة ١٢١٧ وهي تحمل سؤالا معقدا ، تجده في طيات هـذه الرسالة إلا ان الشيخ رحمه الله تقبله بصدر رحب ، واحنى عليه بكلكل علمه الغزير فحل عقده ، وردمافيه من الشبه ، وكساه بالجواب المنير حتى اضمحل مافيه من الظلمة والمغالطة ، ومازال يكر ويفر على هذه الشبه حتى هزمها بجند الحجة والبرهان .

ورغم مايلمسه القارىء من تكرار في الأدلة من الكتاب والسنة في كل مناسبة ، فالقصد منه ترسيخ العقيدة في الالسنة والأفئدة ، والقضاء على شبه اهل البدعة حتى لايجدوا منفذاً ينفذون منه الى باطلهم ، فحازت هذه الرسالة الغزارة في المادة ، والوضوح في المعنى ، وحسن التنسيق ، والسبك ، وقد سميت هذه الرسالة في مجموع الرسائل النبذة الشريفة النفيسة ، في الرد على القبوريين ، فرايت اهداله

٤- (إرشاد المسلمين في الرد على القبوريين)

وهذا الشيخ يستحق لقبا ضافيا إلا ان الألقاب لاقيمة لها عند العلماء آن ذاك .

رحم الله هذا الشيخ الذي تسعد العالم بمؤلفاته في حياته وبعد مماته ووهب لنا ماوهبه له ولامثاله الطيبين ، من امر الدنيا والدين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين .
واشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، ولاند ولا معين
واشهد أن محمداعبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين، وحجة على الكافرين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما وصحبه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فإنه لما كان منتصف جمادى الثانية من شهور سنة سبع عشرة بعد المأتين والالف ، وصلتنا رسالة .

من محمد بن احمد الحفظي اليمني .

يسأل فيها عن مسائل اوردها عليه بعض المجادلين فطلب منا الجواب عليهـــا .

منها زعم ان اطلاق الكفر بدعاه غير الله غير مسلم لوجوه :

الوجه الاول : عدم النص الصريح على ذلك بخصوصه .

الثاني : أنه ان نظر فيه من حيثية القول فهو كالحلف بغير الله وقد ورد انه شرك وكفر . ثم أولوه بالاصغر .

وأما إن نظر فيه من ناحية الاعتقاد فهو كالطيرة وهي من الاصغر

الثالث انه قد ورد في الحديث أي حديث الضرير قوله يا محمد اني أتوجه بك الخ .

وفي الجامع الكبير وعزاه للطبراني (فمن انفلتت عليه دابته قال ياعباد الله احبسوا) وهذا دعاء ونداء لغير الله .

الجواب وبالله التوفيق والتأييد ومنه استمد العون والتسديد

إعلم : أن دعاء غير الله وسؤاله نوعان .

أحدهما سؤال الحي الحاضر مايقدر عليه، مثل سؤاله أن يدعو له أو ينصره أو يعينه بمايقدر عليه، فهذا جائز كما كان الصحابة رضي الله عنهم يستشفعون بالنبي ﷺ في حياته فيشفع لهم ويسألونه الدعاء فيدعو لهم. فالمخلوق يطلب منه من هذه الامور مايقدر عليه كما قال تعالى في قصة موسى (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وقال تعالى (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر) وكما ورد في الصحيحين أن الناس يوم القيامة يستشفعون بآدم. ثم بنوح . ثم بابراهيم . ثم بموسى . ثم بعيسى . ثم بنبينا محمد ﷺ

وفي سنن ابي داود أن رجلا قال للنبي ﷺ إنا نستشفع بالله عليك ونستشفع بك على الله ، فقال : (شأن الله اعظم من ذلك. انه لايستشفع به على احد من خلقه) فأقره على قوله نستشفع بك على الله ، وانكر قوله نستشفع بالله عليك .

فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يطلبون منه الدعاء، ويستشفعون به في حياته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

(النوع الثاني : سؤال الميت والغائب وغيرهما مما لايقدر عليه إلا الله .

مثل قضاء الحاجات وتفريج الكربات واغاثة اللهفات . فهذا من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين. لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله احد من الصحابة والتابعين لهم باحسان . ولا استحسنه احد من أئمة المسلمين .

وهذا مما يعلم بالضرورة انه ليس من دين الاسلام .

فانه لم يكن أحد منهم اذا نزل به شدة او عرضت له حاجة يقول ياسيدي فلان اقض حاجتي، اواكشف شدتي، وانا في حبسك وانا استشفع بك الى ربي . كما يقوله بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين . ولا احد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته . ولا بغيره من الأنبياء عند قبورهم . ولا إذا ابعدوا عنهم، فإن هذا من الشرك الاكبر الذي كفر الله به المشركين. فإن المشركين الذين كفرهم النبي ﷺ واستباح دمائهم واموالهم لم يقولوا إن آلهتهم شاركت الله تعالى في خلق العالم . او انها تنزل المطر وتنبت النبات ، بل كانوا مقرين بذلك لله وحده .

كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله)

وقوله تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ، سيقولون لله ـ الى قوله ـ فأنى تسحرون)

وقال تعالى (وما يؤمن اكثرهم بالله إلا وهم مشركون)

قال طائفة من السلف في تفسير هذه الآية : كانوا اذا سئلوا من خلق السموات والارض قالوا الله. وهم يعبدون غيره، ففسروا

الايمان في الآية باقرارهم بتوحيد الربوبية . وفسروا الاشراك باشراكهم بتوحيد الإلاهية الذي هو : **توحيد العبادة.**

والعبادة اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال .

من ذلك الدعاء بما لا يقدر على جلبه او دفعه إلا الله . فمن طلب من غيره او استعانه فيه فقد عبده .

والدعاء من افضل العبادات واجل الطاعات ، قال تعالى : (وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)

وفي الترمذي عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال (الدعاء مخ العبادة)

وللترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث النعمان بن بشير قال قال رسول الله ﷺ (ان الدعاء هو العبادة) ثم قرأ (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) الى آخر الآية . قال الترمذي حديث حسن صحيح .

قال الشارح ـ معنى قوله (الدعاء مخ العبادة) أي اعظمها . فهو كقوله الحج عرفة ، أي ركنه الاعظم .

ومعنى قوله الدعاء مخ العبادة أي خالصها لان الداعي انما يدعو الله عند انقطاع امله مما سواه وذلك حقيقة التوحيد والاخلاص انتهى .

والدعاء في القرآن يتناول معنيين .

أحدهما : دعاء العبادة وهو دعاء الله لامتثال امره في قوله (ادعوني أستجب لكم)

الثاني : دعاء المسألة وهو دعائه سبحانه في جلب المنفعة ودفع المضرة : وبقطع النظر عن الامتثال .

فقد فسر قوله تعالى « وقال ربكم ادعوني استجب لكم » بالوجهين احدهما ماهو معلوم «١» من الدعاء وغيره وهو العبادة وامتثال الامر له سبحانه فيكون معنى قوله (استجب لكم) أثبكم . كما قال في الآية الاخرى « ويستجيب الذين آمنوا وعملو الصالحات » أي يثيبهم على احد التفسيرين .

الثاني : ماهو خاص . معناه ــ سلوني اعطكم . كما ورد في الصحيحين عن النبي ﷺ « انه قال : ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له »

فذكر اولا الدعاء ، ثم السؤال ، ثم الاستغفار . والمستغفر سائل كما ان السائل داع فعطف السؤال على الدعاء ثم الاستغفار ، فهو من عطف الخاص على العام . وهذا المعنى الثاني هو الاخلاص لوجهين احدهما مافي حديث النعمان بن بشير ان رسول الله ﷺ قال : « الدعاء العبادة » ثم قرء « وقال ربكم ادعوني » إلى آخــره .

---

(١) لعله عام ــ بدليل قوله ــ الثاني ماهو خاص .

فاستدلاله ﷺ بالآية على الدعاء، دليل على ان المراد منها سلوني.

وخطاب الرب سبحانه وتعالى لعباده المكلفين بصيغة الأمر منصرف الى الوجوب مالم يقم دليل يصرفه الى الاستحباب.

فيفيدقصور نقله على الله، فلا يجب لغيره لأنه عبادة.

ولهذا امر الله الخلق بسؤاله فقال: «واسئلوا اللهمن فضله»

وفي الترمذي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ: سلو الله من فضله فإن الله يحب ان يسئل.

وله عن ابي هريرة مرفوعا «من لم يسأل الله يغضب عليه»

وله ايضاً «ان الله يحب الملحين في الدعاء»

فتبين بهذا ان الدعاء من افضل العبادات واجل الطاعات.

الوجه الثاني: انه قال «واذا سألك عبادي عني فإني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني»

والسائل راهب راهب. وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤل. وكل عابد فهو راهب راهب يرجو رحمته ويخاف عذابه وكل عابد سائل، وكل سائل فهو عابد لله: قال تعالى «انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا»

ولا يتصور ان يخلو داع لله دعاء عبادة، او دعاء مسألة من الرغب والرهب والخوف والطمع.

فدعاء العبادة ودعاء المسألة كلاهما عبادة لله لا يجوز صرف شيء منهما الى غيره، فلا يجوز ان يطلب إلا من الله.

فمن دعا ميتا او غائبا فقال : ياسيدي فلان اغثني او انصرني او ارحمني او اكشف عني شدتي ونحـو ذلك ، فهو كافر مشرك يستتاب فان تاب وإلا قتل .

وهذا مما لاخلاف فيه بين العلماء . فان هذا هو شرك المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ .

فانهم لم يكونوا يقولون انها تخلق وترزق وتدبر امر من دعاها بل كانو يعلمون ان ذلك لله وحده، كما حكاه عنهم في غير موضع من كتابه .

وانما كانوا يفعلون عندها ما يفعله اخوانهم المشركين اليوم من دعائها والاستغاثة بها والذبح لها والنذر لها يزعمون انها وسائط بينهم وبين الله تعالى تقربهم اليه وتشفع لهم لديه . كما حكاه عنهم في قوله تعالى « والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى »

وقال تعالى « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله »

فقاتلهم رسول الله ﷺ ليكون الدعاء كله لله والذبح كله لله والاستغاثة كلها بالله . وجميع العبادات لله .

والله سبحانه قد بين في غير موضع من كتابه ان الدعاء عبادة » فقال تعالى حاكياً عن خليله ابراهيم عليه السلام .

« واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا، فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله » الآية

وقال تعالى (ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامه وهم عن دعائهم غافلون . واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين)

فأخبر سبحانه : أنه لا أضل من هذا الداعي ، وان المدعو لا يستجيب له ، وأن ذلك عبادة سيكفر بها المعبود يوم القيامة كقوله تعالى : (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ، كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا)

وقد سمى الله سبحانه الدعاء دينا في غير موضع . وأمرنا أن نخلصه له . وأخبر ان المشركين يخلصون له في الشدائد

فقال تعالى (واذا غشيهم موج كالظل دعوا الله مخلصين له الدين)

وقال تعالى (حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين)

وقال تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون)

فأخبر سبحانه أنهم عند الاضطرار يدعونه وحده لاشريك له مخلصين في تلك الحال لايستغيثون بغيره فيها ، فلما نجاهم من تلك الشدة اذا هم يشركون في دعائهم ، ولهذا قال تعالى (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم)

أي انه سبحانه لما نجاكم الى البر أعرضتم أي نسيتم ما عرفتم من توحيده ، وأعرضتم عن دعائه وحده لا شريك له .

وقال تعالى (فادعوا الله مخلصين له الدين)

وقال تعالى (هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين)

فالدعاء من افضل العبادات واجل الطاعات. ولهذا أخبر انه الدين . فذكره معرفاً بالألف واللام .

واخبر أن المشركين يخلصون له في الشدائد . وانهم في الرخاء يشركون معه غيره . فيدعون من لا ينفعهم ولا يضرهم ولا يسمع دعائهم . فصاروا بذلك كافرين .

ومن تأمل الكتاب والسنة : علم ان شرك المشركين الذين كفرهم النبي ﷺ انما هو في الدعاء والذبح والنذر والتوكل والإلتجاء ونحو ذلك .

فان جادل مجادل وزعم أنه ليس هذا .

قيل له : فأخبرنا عما كانوا يفعلون عند آلهتهم . وما الذي يريدون وما هذا الشرك الذي حكاه الله عنهم .

فان قال شركهم عبادة غير الله .

قيل له : وما معنى عبادتهم لغير الله . أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الاخشاب والاحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها ؟ فذلك يكذبه القرآن لأن الله عز وجل أخبر عنهم أنهم مقرون بذلك لله وحده .

فان قال انهم يريدون منهم النفع والضر من دون الله فهذا يكذبه القرآن ايضاً، لأن الله أخبر انهم لم يريدوا إلا التقرب بهم الى الله وشفاعتهم عنده ، كما قال تعالى حاكياً عنهم (ما نعبدهم

إلا ليقربونا الى الله زلفى)

وقال تعالى (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)

وأخبر تعالى عن شركهم في غير آية من كتابه كقوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا)

أي لا يدفعونه بالكلية، ولا يحولونه من حال الى حال .

ثم قال تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا) .

قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة : فبين الله لهم أن هؤلاء عبادي يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي .

واخبر انهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله . وهذا هو الاغاثة .

والمشركون يزعمون ان آلهتهم تشفع لهم بالسؤال عند الله والطلب منه فيقضي الله لهم تلك الحاجة .

فأبطل هذه الشفاعة التي يظنها المشركون .

وبين أنه لا يشفع احد عنده إلا باذنه .

فقال (ولا تشفع الشفاعة عنده إلا لمن اذن له)

وقال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه)

فمن جعل الانبياء والملائكة وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب

الذين يكونون بين الملك ورعيته بحيث يزعم انهم يرفعون الحوائج الى الله . وان الله يرزق عباده وينصرهـم بتوسطهم : بمعنى ان الخلق يسألونهم وهم يسألون الله .

فمن اعتقد هذا فهو كافر مشرك .

اذا تقرر هذا فنقول : قول القائل : ان اطلاق الكفر بدعاء غير الله غير مسلم لوجوه .

الوجه الاول : عدم النص الصريح على ذلك بخصوصه كلام باطل ، بل النصوص صريحة في كفر من دعا غير الله ، وجعل لله نداً من خلقه يدعوه كما يدعو الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويتوكل عليه في اموره كلها . قال الله تعالى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)

وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ـ الى قوله تعالى ـ وما هم بخارجين من النار)

فمن أحب مخلوقاً كما يحب الله ، او رجاه كما يرجوا الله ، فقد جعله نداً لله . وصار من الخالدين في النار .

وفي صحيـــح البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار .

وفي الصحيحين انه ﷺ سئل اي الذنب اعظم . قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك .

والند المثل ؛ قال الله تعالى (فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون)

وقال تعالى عن اهل النار (تالله إن كنا لفي ضلال مبـــين . إذ نسويكم برب العالمين)

ومعلوم أنهم ما يساوونهم به في الخلق والرزق، والاحياء والاماتة وانما يساوونهم به في الدعاء، والخوف، والرجاء، والمحبة، والتعظيم، والاجلال.

وقال تعالى (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيباً اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله، قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار) وقال تعالى (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) فصرح بكفره.

وقال تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله. ولكن كونوا ربانيين الى قوله. ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون)

فبين أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر.

وقال تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به)

وقال: فيما حكاه عن المسيح (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار)

وقال: (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير: إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم)

فدلت الآية الكريمة على ان اعظم شركهم انما هو دعاء غير الله فأخبر انهم لا يملكون من قطمير. وهو القشر الذي يكون على ظهر النواة، أي ليس لهم من الأمر شيء واذ قل.

ثم اخبر انهم لا يسمعون دعائهم ، وانهم لو سمعوا ما استجابوا لهم . وهذا صريح في دعاء المسألة .

ثم أخبر ان هذا شرك يكفرون به يوم القيامة . فقال (ويوم القيامة يكفرون بشرككم)

كقوله تعالى (كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا)

وقوله (واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين)

والله سبحانه قد أرسل رسله وانزل كتبه ليعبد وحده ، ويكون الدين كله له ، ونهى ان يشرك به احد من خلقه .

واخبر ان ارسالة عمت كل امة ، وان دين الرسل واحد ، وهو الأمر بعبادته وحده لاشريك له ، وانه لا يشرك به احد سواه . كما قال تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت . وقال تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لا إله إلا انا فاعبدون)

واخبر انه لا يغفر ان يشرك به ، وأن من اشرك فقد حبط عمله وصار من الخالدين في النار . كما قال تعالى (ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون)

فيقال : لمن انكر ان يكون دعاء الموتى والاستغاثة بهم في الشدائد شركاً اكبر .

اخبرنا عن هذا الشرك الذي عظمه الله ، واخبر انه لا يغفره اتظن ان الله يحرمه ذلك التحريم ولا يبينه لنا ؟

ومعلوم ان الله سبحانه أنزل كتابه تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين .

وقد اخبر في كتابه انه اكمل لنا الدين ، واتم علينا النعمة ، ورضي لنا الاسلام دينا، فكيف يجوز ان يترك بيان الشرك الذي هو اعظم ذنب عصى الله به سبحانه .

فاذا أصغى الانسان الى كتاب الله وتدبره وجد فيه الهدى والشفاء

(من يضلل الله فلا هادي له)

(ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)

ويقال ايضاً : قد امرنا الله بدعائه وسؤاله. واخبر انه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وامرنا ان ندعوه خوفاً وطمعا. فاذا سمع الانسان قوله تعالى (وقال ربكم ادعوني استجب لكم)

وقوله تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) فمعلوم ان هذا عبادة.

فيقال فان دعا في تلك الحالة نبيا او ملكا او عبداً صالحا هل اشرك في هذه العبادة، فلابد أن يقر بذلك إلا أن يكابر ويعاند .

ويقال أيضاً إذا قال الله (فصل لربك وانحر) واطعت ونحرت له هل هذا عبادة ، فلا بد ان يقول نعم .

فيقال : له فاذا ذبحت لمخلوق نبي أو ملك او عبد او غيرهما هل شركت في هذه العبادة، فلابد ان يقول نعم إلا ان يكابر ويعاند وكذلك السجود عبادة فلو سجد لغير الله لكان مشركا في هذه العبادة

ومعلوم ان الله سبحانه ذكر في كتابه من النهي عن دعاء غيره، وتكاترت نصوص القرآن في النهي عن ذلك عظم مما ورد

في النهي عن السجود لغير الله ، والذبح لغير الله : فإذا كان من سجد لقبر او ملك او عبد صالح لايشك احد في كفره ، وكذلك لوذبح القربان لم يشك احد في كفره لأنه اشرك في عبادة الله غيره.

فيقال السجود عبادة . وذبح القربان عبادة .

فما الفارق بين السجود والذبح والدعاء .

وما الدليل على ان السجود لغير الله والذبح لغيره شرك اكبر والدعاء بما لايقدر عليه إلا الله شرك اصغر .

ويقال ايضاً قدذكر اهل العلم في كل مذهب «باب حكم المرتد» وذكروا فيه انواعا كثيرة، كل نوع منها يكفر به الرجل ويحل دمه وماله ، ولم يرد في واحد منهـا ماورد في الدعاء . بل لانعلم نوعامن انواع الكفر والردة ورد فيه من النصوص، مثل ماورد في دعاء غير الله بالنهي عنه والتحذير من فعله، والوعيد عليه ولايشتبه هذا إلا على من لايعرف حقيقة مابعث الله به محمدا ﷺ من التوحيد ولم يعرف حقيقة شرك المشركين الذين كفرهم النبي ﷺ واحل دمائهم وأموالهم، وأمره الله ان يقاتلهم حتى لاتكون فتنة .

« أي لايكون شرك » ويكون الدين كله لله .

فمن أصغى الى كتاب الله علم علما ضروريا أن دعاء الموتى من اعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين .

فكيف يسوغ لمن عرف التوحيد الذي بعث الله به محمدا ﷺ أن يجعل ذلك من الشرك الاصغر . ويقول قد عدم النص الصريح على كفر فاعله . فان الادلة القرآنية والنصوص النبوية قـد دلت

على ذلك دلالة ظاهرة ليست خفية ، ومن اعمى الله بصيرته فلا حيلة فيه « من يضلل الله فلاهادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون »

وايضاً فان كثيراً من المسائل التي ذكرها العلماء في مسائل الكفر والردة وانعقد عليها الاجماع لم يرد فيها نصوص صريحة بتسميتها كفراً ، وانما يستنبطها العلماء من عمومات النصوص ، كما إذا ذبح المسلم نسكا متقربا به الى غير الله ؛ فان هذا كفر بالاجماع .

كما نص على ذلك النووي وغيره .

وكذلك لو سجد لغير الله ، فاذا قيل هذا شرك لان الذبح عبادة والسجود عبادة فلا يجوز لغير الله .

كما دل على ذلك قوله تعالى « فصل لربك وانحر » وقوله تعالى « قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لاشريك له » فهذا صريح في الامر بها ، وانه لايجوز صرفها لغيره .

فيبقى ان يقال أين الدليل المصرح أن هذا كفر بعينه .

ولازم هذه المجادلة الإنكار على العلماء في كل مسألة من مسائل الكفر والردة التي لم يرد فيها نص بعينها ، مع ان المسألة المسؤل عنها قد وجدت فيها النصوص الصريحة من كلام الله وكلام رسوله واوردنا من ذلك مافيه الهدى لمن هداه الله

وأما كلام العلماء : فنشير الى قليل من كثير ، ونذكر كلام من حكى الاجماع على ذلك

قال في الاقناع وشرحه من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر اجماعا لأن هذا كفعل عابدي الاصنام

قائلين « ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى » انتهى .

وقال الشيخ تقي الدين رحمه الله: وقد سئل عن رجلين تناظرا فقال احدهما لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله فانا لانقدر ان نصل اليه إلا بذلك .

فأجاب بقوله : إن اراد بذلك أنه لابد لنا من واسطة تبلغنا امر الله فهذا حق؛ فان الخلق لا يعلمون مايحبه الله ويرضاه وما امر به وما نهى عنه إلا بالرسل الذين ارسلهم الى عباده، وهذا مما اجمع عليه اهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى، فانهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده، وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أوامره ونواهيه .

قال الله تعالى « الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس » ومن انكر هـذه الوسائط فهو كافر بإجماع اهل الملل .

وان اراد بالواسطة : انه لابد لنا من واسطة يتخذه العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون اليه فيه : فهذا من اعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله اولياء وشفعاء يجلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار، لكون الشفاعة لم يأذن الله له فيها ، قال تعالى « مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون » .

وقال « وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيـــع »

وقال « قل ادعو الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ، ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له »

وقال تعالى « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا » الى قوله « ان عذاب ربك كان محذورا »

قال طائفة من السلف كان اقوام من الكفار يدعون عيسى والعزير والملائكة والانبياء ، فبين الله لهم ان الملائكة والأنبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويله ، وانهم يتقربون اليه ويرجون رحمته ويخافون عذابه .

وقال تعالى « ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون »

فبين سبحانه وتعالى ان اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر . فمن جعل الملائكة والانبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يسألهم غفران الذنوب ، وهداية القلوب وتفريج الكربات وسد الفاقات فهو كافر باجماع المسلمين .

وقد قال تعالى « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون .

يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ـ الى قوله ـ كذلك نجزي الظالمين »

وقال « لن يستنكف المسيح ان يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون » الآيـة

وقال « وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى »

وقال تعالى « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه »

وقال « وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو » الآية

وقال « مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لهـا وما يمسك فلا مرسل له من بعده »

فمن اثبت الوسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون حوائج خلقه، وان الله انما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم، بمعنى ان الخلق يسألونهم وهم يسألون الخالق : كما ان الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منه، والناس يسألونهم اداها منهم ان يباشروا سؤال الملك ؛ أو لأن طلبهم من الوسائط انفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم اقرب الى الملك من الطالب .

فمن اثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب ان يستتاب فان تاب وإلا قتل .

وهؤلاء مشبهون ، شبهوا الخالق بالمخلوق وجعلوا لله اندادا . وفي القرآن من الرد على هؤلاء مالا تتسع له هذه الفتوى .

فان هذا دين المشركين عباد الاوثان، كانوا يقولون : انها تماثيل الأنبياء والصالحين، وانها وسائل يتقربون بها الى الله تعالى، وهو من الشرك الذي انكره الله تعالى على النصارى حيث قال : « اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله » الآية .

وقوله تعالى « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي »

اي فليستجيبوا اذا دعوتهم بالأمر والنهي، وليؤمنوا بي اني أجيب دعاءهم لي بالمسألة والتضرع .

وقال « فإذا فرغت فانصب ، والى ربك فارغب »

وقد بين الله هذا التوحيد في كتابه وحسم مواد الاشراك به حيث لا يخاف أحد غير الله ولا يرجى سواه ، ولا يتوكل إلا عليه

قال تعالى « فلا تخشوا الناس واخشون » « فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين » وقال « ولم يخش إلا الله ، وقال « ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون »

فبين ان الطاعة لله والرسول، واما الخشية والتقوى فلله وحده .

ونظيره قوله تعالى « فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل »

وقد كان النبي ﷺ يحقق هذ التوحيد لأمته ويحسم عنهم مواد الشرك ، اذ هو تحقيق قولنا « لا اله الا الله »

فان الإله هو الذي تألهه القلوب بالمحبة والتعظيم والاجلال والاكرام، والخوف، حتى قال لهم « لا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء محمد » وقال لرجل قال له ماشاء الله وشئت « أجعلتني لله نداً ؟ بل ماشاء الله وحده » .

وقال لابن عباس : اذا سالت فاسئل الله، واذا استعنت فاستعن بالله

وقال « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فانما أنا عبد الله ورسوله »

وقال : « لاتتخذوا قبري عيدا ، وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني »

وقال في مرضه الذي مات فيه « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ماصنعوا .

قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ؛ ولكن خشي ان يتخذ مسجدا وهذا باب واسع .

انتهى ماتلخصته من كلام الشيخ ابن تيمية في مسألة الوسائط .

وقال رحمه الله، في موضع آخر : والله سبحانه وتعالى لم يجعل أحدا من الأنبياء والمؤمنين واسطة في شيء من الربوبية والإلاهية مثل ما ينفرد بـــه من الخلق والرزق واجابة الدعاء والنصر على الاعداء ، وقضاء الحاجات وتفريج الكربات .

بل غاية مايكون العبد سببا، مثل ان يدعو ويشفع ،

والله تعالى يقول « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه »

وقـــال تعالى « وكم من ملك في السموات والارض لاتغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى »

وقال تعالى « ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون »

فبين سبحانه ان إتخاذ الملائكة والنبيين اربابا كفر .

ولهذا كانوا في الشفاعة على ثلاثة اقسام »

فالمشركون : أثبتوا الشفاعة التي هي شرك ، كشفاعة المخلوق

عند المخلوق كما يشفع عند الملوك خواصهم لحاجة الملوك الى ذلك، فيسألونهم بغير اذنهم ويجيب الملوك سؤالهم لحاجتهم اليهم.

فالذين اثبتوا مثل هذه الشفاعة مشركون كفار، لان الله تعالى لايشفع عنده احد الا باذنه، ولايحتاج الى احد من خلقه، بل من رحمته واحسانه اجابة دعاء الشافعين.

ولهذا قال تعالى « مالكم من دونه من ولي ولا شفيع »

وقال « ام اتخذوا من دون الله شفعاء، قل أو لو كانوا لايملكون شيئا ولا يعقلون، قل لله الشفاعة جميعا »

وقال عن صاحب يس « أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لاتغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون »

واما الخوارج والمعتزلة (١) فانهم انكروا شفاعة نبينا محمد ﷺ في اهل الكبائر من أمته؛ وهؤلاء مبتدعة ضلال مخالفون للسنة المستفيضة عن النبي ﷺ، والاجماع خير القرون.

القسم الثالث: اهل السنة والجماعة وهم سلف الامة وائمتها ومن اتبعهم باحسان.

اثبتوا ماأثبتة الله في كتابه وسنة رسوله، ونفوا ماانفاه.

فالشفاعة التي اثبتوها هي التي جاءت بها الاحاديث

واما الشفاعة التي نفاها القرآن كما عليه اليهود والنصارى، ومن ضاهاهم من هذه الامة فينفيها اهل العلم والايمان.

---

(١) القسم الثاني في الشفاعة

مثل انهم يطلبون الانبياء والصالحين الغائبين والميتين قضاء حوائجهم ويقولون إنهم اذا ارادوا ذلك قضوها ، ويقولون انهم عند الله كخواص الملوك عند الملوك يشفعون بغير اذن الملوك ولهم على الملوك إدلال يقضون به حوائجهم فيجعلونهم لله بمنزلة شركاء الملك ، والله تعالى قد نزه نفسه عن ذلك ؛ انتهى .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : واما الشرك فنوعان : اكبر واصغر فالاكبر لايغفر الله الا بالتوبة منه ، وهو ان يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله ، وهو الشرك الذي يتضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار « تالله إن كنا لفي ضلال مبين ، إذ نسويكم برب العالمين » مع اقرارهم بأن الله هو الخالق وهو خالق كل شيء ومليكه ، وان آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت ، وانما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم بل كلهم يحبون معبوديهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله : وكثير منهم بل اكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله : ويستبشرون بذكرهم اعظم من استبشارهم اذا ذكر الله وحده ؛ ويغضبون إذا انتقص أحد معبوديهم وآلهتهم من المشائخ أعظم مما يغضبون اذا انتقص أحد رب العالمين .

واذا انتقص احد حرمة من حرمات آلهتهم ومعبوداتهم غضبوا غضب الليث اذا حرب ، واذا انتهكت حرمات الله لم يغضبوا لها ، بل اذا قام المنتهك لها باطعامهم شيئا رضوا عنه ولم تنكر له قلوبهم ، وقد شاهدنا هذا منهم نحن وغيرنا .

ونرى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده من دون الله على لسانه، ان قام، وان قعد، وان عثر، وإن مرض، فذكر إلهه ومعبوده من دون الله هوا الغالب على لسانه وهو لاينكر ذلك ؛ ويزعم أنه باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ووسيلته اليه، وهكذا كان عباد الاصنام سواء .

وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم يتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم، فأولئك كانت آلهتهم من الحجر، وغيرهم اتخذوها من البشر ، قال تعالى : حاكيا عن أسلاف هؤلاء المشركين (والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) .

ثم شهد عليهم بالكذب والكفر واخبر انه لايهديهم .

فقال (ان الله لايهدي من هو كاذب كفار)

فهذا حال من اتخذ من دون الله ولياً يزعم أن يقربه الى الله، وما أعز من يخلص من هذا، بل ما اعز من لايعادي من انكره ، (والذي في قلوب هؤلاء المشركين ، وسلفهم ان آلهتهم تشفع لهم عندالله وهذا عين الشرك، وقد انكره الله عليهم في كتابه ، وابطله واخبر ان الشفاعة كلها له، وأنه لايشفع عنده احدالا باذنه لمن رضي قوله وعمله وهم اهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء، ثم ساق كلاما طويلا وقرره احسن تقرير : فتأمل كلامه رحمه الله

وهذا حيث قرر ان الذي يفعله مشركو زمانه هو عين الشرك الذي فعله المشركون الأولون .

ثم قال : وما أعز من يخلص من هذا، بل ما أعز من لايعادي من انكره .

ففي هذا شاهد لصحة الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ أنه قال بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بداء .

وقوله فيما صح عنه ﷺ (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه : قالوا يارسول الله اليهود والنصارى » قال : فمن ؟ أخرجاه في الصحيحين .

وقال الشيخ أبو العباس بن تيمية فى الرسالة السنية ، لما تكلم على الخوارج .

فاذا كان هذا في زمن النبي ﷺ وخلفائه ممن انتسب الى الاســـلام من قـد مرق من الدين مع عبادته العظيمة، فليعلم ان المنتسب الى الاسلام في هذ الزمان قد يمرق ايضاً .

وذلك بأمور :

منها الغلو الذي ذمه الله كالغلو في بعض المشائخ كالشيخ عدي بل الغلو في علي بن ابي طالب ، بل الغلو في المسيح ، فكل من غلا في نبي او رجل صالح وجعل فيه نوعا من انواع الالهية : مثل أن يدعوه من دون الله ؛ بان يقول ياسيدي فلان اغثني ؛ أو انا في حسبك ، وكل هذا شرك وضلالة يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل .

فإن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ، ولا يجعل معه إله آخر ، والذين يجعلون معه آلهة اخرى ، مثل المسيح والملائكة والعزير والصالحين او قبورهم لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق وترزق ، وانما كانوا يدعونهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فبعث الله الرسل تنهى ان يدعى احد من دونه ، لادعاء عبادة ، ولا دعاء استعانة : انتهى .

وقال ابو الوفاء بن عقيل رحمه الله : لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى اوضاع وضعوها لانفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت امر غيرهم .

قال : وهم عندي كفار بهذه الاوضاع .

مثل تعظيم القبور واكرامها بمانهى عنه الشرع من إيقادالسرج وتقبيلها وتخليقها ، وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها بامور أنافعل بي كذا وكذا . وأخذ تربتها تبركا وافاضة الطيب على القبور وشد الرحال اليها ، والقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى ، والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكفر ، ولم يتمسح بالآجر يوم الاربعاء ولم يقل الحمالون على جنازته ابوبكر او محمد وعلي اولم يعقد على قبر ابيه أزجا بالجص والاجر ولم يخرق ثيابه ولم يرق ماء الورد على القبر انتهى كلامه .

فتأمل رحمك الله ماذكره هذا الامام — وماكشفه من الامور التي يفعلها الخواص من الانام ، فضلا عن النساء والغوغاء والعوام مع كونه في سادس القرون ، والناس لما ذكره يفعلون ، وجهابذة العلماء والنقدة لذلك مشاهدون .

وحظهم من النهي مرتبته الثانية فهم بها قائمون — يتضح لك فساد مازخرفه المبطلون ، وموهه المتعصبون والملحدون .

فصـــل

وأما قوله الثاني : ان نظر فيه من حيثية القول فهو كالحلف بغير الله ، وقد ورد انه شرك ، وكفر ، ثم أولوه بالاصغر

وان نظر فيه من حيثية الاعتقاد فهو كالطيرة وهي من الاصغر .

فنقول هذا كلام باطل وليس يخفى ما بينهما من الفرق .

فأي مشابهة بين من وحد الله وعبده ولم يشرك معه أحداً من خلقه ، وانزل حاجاته كلها بالله ، واستغاث به في تفريج كرباته وإغاثة لهفاته ، لكنه حلف بغير الله يمينا مجردة لم يقصد بها تعظيمه على ربه ، ولم يسأله ، ولم يستغث به .

وبين من استغاث بغير الله وسأله جلب الفوائد وكشف الشدائد فان هذا صرف مخ العبادة الذي هو لبها وخالصها لغير الله ، واشرك مع الله غيره في أجل العبادات ، وافضل القربات التي امر الله بها في غير موضع من كتابه ، واخبر النبي ﷺ انه هو العبادة كما تقدم في حديث النعمان بن بشير ان الدعاء هو العبادة .

وفي حديث انس ان الدعاء مخ العبادة .

واخبر النبي ﷺ ان الله يحب الملحين فيه .

وان (من لم يسأل الله يغضب عليه)

وفي الترمذي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ : سلوا الله من فضله فان الله يحب ان يسأل .

وفيه ايضاً ان الله يحب الملحين في الدعاء .

وفيه ايضاً من لم يسأل الله يغضب عليه .

وفي الترمذي وابن ماجـه عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ليس شيء على الله اكرم من الدعاء .

واما الحلف فلم يأمرنا الله به بل امرنا بحفظه، فقال (واحفظوا أيمانكم) فان المعنى لاتحلفوا ، وقيل لاتحنثوا ، ولا يرد على هذا ماورد عن النبي ﷺ : انه حلف في مواضع ، فان اليمين يستحب اذا كان فيها مصلحة راجحة .

وعلى هذا حمل العلماء ماروي في ذلك عن النبي ﷺ ، فهو يحلف لمصالح مطلوبة للأمة ، كزيادة إيمانهم ، وطمأنينة قلوبهم .

كما امره الله بذلك في ثلاثة مواضع من كتابه .

واما الحلف لغير مصلحة فليس مشروعا بل يباح إذا كان صادقاً .

واما الدعاء فهو مشروع محبوب ، بل سماه الله في كتابه الدين وأمر باخلاصه له ، وسماه رسول الله ﷺ العبادة ، ومخ العبادة فكيف يقال هو كالحلف .

فمن صرف الدعاء لغير الله فقد اشرك في الدين الذي امر الله باخلاصه له . وفي العبادة التي امر الله بها .

وايضاً فان الداعي راغب راهب ، فالعبد يدعو ربـه رغبا ورهبا . ويتوكل عليه في حصول مطلوبه ودفع مرهوبه . فإذا طلب فوائده، وكشف شدائده من غير الله فقد اشرك مع الله في الرغبة والرهبة والرجاء والتوكل ، فان هذا من لوازم الدعاء . وهو من العبـادة التي امر الله بهـا . كقوله تعـالى (والى ربك فارغب)

وقوله تعالى (فإياي فارهبون) وقال (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)

فمن استغاث بغير الله فهو راغب اليه في حصول مطلوبه ، راج له ، متوكل عليه ، وذلك هو حقيقة العبادة التي لا تصلح إلا لله . وهو معنى (لا اله الا الله)

فان الإله هو الذي تألهه القلوب محبة ورجاء ؛ وخوفا وتوكلا .

ويقال ايضاً : الذي يدعوا غير الله في مهماته وكشف كرباته قد رد على الله كلامه . وكذب بآياته .

فان الله عز وجل اخبر انه لا يشفع عنده احد إلا باذنه . وان الشفاعة كلها لله . وهذا زعم ان الميت يشفع له .

واخبر الله أن الأولياء والصالحين لا يملكون كشف الضر ولا تحويله . وانهم لا ينفعون ولا يضرون . ولا يسمعون الدعاء ولا يستجيبون .

وهذا زعم أنهم باب حوائجه الى الله ، وأنهم ينفعون ويشفعون وللدعاء يسمعون ، وله يستجيبون ، فكذب على الله وكذب بآياته

فكيف يقال ان هذا كالحلف بغير الله الذي اولوه ان يكون شركا اصغر يعاقب عليه كما يعاقب الزاني وقاتل النفس وآكل الرباء لأنه ارتكب محرما غير مستحل له . نظير ما يفعله الزاني وقاتل النفس : فأما ان فعله مستحلا او لكون المخلوق في قلبه اعظم من الخالق كان ذلك كفرا

قال ابن القيم رحمه الله . وأما الشرك الاصغر فكيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله وتخو عالي الا الله وانت ، وانا

متوكل على الله وعليك ، ولولا انت لم يكن كذا وكذا . وقد يكون هـذا شركا اكـبر بحسب حال قائله ومقصده ، انتهى .

وقال ايضاً من المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام، ان الله تعالى بعث محمدا ﷺ يدعو الى التوحيد، وينهى عن الاشراك، فكان اول آية ارسله الله بها (يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) فأنذر عن الشرك، واهجر الأوثان، وكبر الله وعظمه بالتوحيـد ، فاستجاب له من استجاب من المسلمين وصبروا على الاذى من قومهم . وقاسوا الشدائد العظيمة فهاجروا وأخرجوا من ديارهم ، وأوذوا في الله، وتميز الكافر من المسلم ومات من المسلمين من استوجب الجنة ، ومات من الكفار من استحق النار ، وهذا النهي كله قبل الحلف بغير الله .

فالاستغاثة بأهل القبور واستنجادهم واستنصارهم لم يبح في شرائع الرسل كلهم ، بل بعث الله جميـع رسله بالنهي عن ذلك والأمر بعبادته وحده لاشريك له .

وأما الحلف فكان الصحابة يحلفون بآبائهم ويحلفون بالكعبة وغير ذلك ولم ينهوا عن ذلك إلا بعد مدة طويلة، فقال لهم النبي ﷺ (ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم)

وقال (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت)

ومن لايميز الفرق بين دعاء الميت والحلف به لايعرف الشرك الذي بعث الله محمدا ﷺ ينهى عنه ويقاتل أهله .

وأي جامع بين الحلف والاستغاثة ، فالمستغيث طالب سائل والحالف لم يطلب ولم يسأل.

فان كان الجامع بينهما عند القائل باتحادهما . أن كلا منهما قول باللسان ، فيقال له والأذكار والدعوات وقول الزور وقذف المحصنات كل ذلك قول باللسان .

ولو قال احد إنها الفاظ متقاربة لعد من المجانين .

وإن اراد هذا القائل اتحادهما في المعنى فهذا باطل كما تقدم بيانه.

وأي مشابهة بين من جعل لله نداً من خلقه يدعوه ويرجوه ويستنصر به ويستغيث به ،

وبين من يدعو الله وحده لاشريك له ،واخلص له في عبادته.

فالأول أشرك مع الله في قوله ،وفعله ،واعتقاده ؛بخلاف الحالف.

بل لو اعتقد الحالف تعظيم المخلوق على الخالق لصار شركاً اكبر كما تقدم .

ومما يبين ذلك ايضاً ان النبي ﷺ نهاهم عن الحلف بغير الله.

وحلف بعض الصحابة حديثوا العهد ففال في حلفه واللات فقال النبي ﷺ (من حلف باللات فليقل لااله الا الله)

ولما قال له بعض الصحابة حديثو العهد بالكفر ، اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط ، قال الله اكبر ، انها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) لتركبن سنن من كان قبلكم .

فانظر كيف نهى الحالف وأرشده الى الكفارة ، بأن يقول

لااله الا الله ، من غير التغليظ الشديد ، والذين قالوا اجعل لنـــا ذات انواط غلظ عليهم التغليظ الشديد، وحلف عليهم أن طلبتهم كطلبة بني إسرائيل ، وأن قولهم اجعل لنا ذات انواط كقول بني إسرائيل (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) سواء بسواء فهـــما متفقان معنى ، وان اختلف اللفظ .

وهذا مما يبين لك شيئا من معنى (لااله الا الله)

فإذا كان إتخاذ الشجرة للعكوف حولها ، وتعليق الاسلحة بها للتبرك إتخاذ إله مع الله ، مع انهم لايعبدونها ولا يسالونهـا فمـــا الظن بالعكوف حول القبر ودعائه في انزال الفوائد والاستغاثة به في كشف الشدائد، واخذ تربته تبركا ؛ واسراج القبر وتخليقه، وأي نسبة للفتنة بشجرة الى الفتنة بالقبر لو كان اهل الشرك والبدع يعلمون.

قال بعض اهل العلم ؛ من اصحاب مالك : فانظروا رحمكم الله اينما وجدتم سدرة اوشجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البركة والشفاء من قبلها ، ويضربون بهـــا المسامير والخرق فهي ذات انواط فاقطعوها ، انتهى .

ومما يبين الفرق بين دعاء الاموات والاستغاثة بهم وبين الحلف أن العلماء قسموا الشرك الى أكبر واصغر .

جعلوا دعاء الاموات والاستغاثة بهم فيما لايقدر عليه الا رب الارض والسموات هو عين شرك المشركين الذين كفرهم الله في كتابه

وجعلوا الحلف بغير الله شركا أصغر ، فيـذكرون الأول في باب حكم المرتد ؛ وأن من اشرك بالله فقد كفر، ويستدلون بقوله

تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به، ويفسرون هذا الشرك بما ذكرنا.

ويذكرون الثاني في كتاب الأيمان . فيفرقون بين هذا وهـذا ولم نعلم أن احداً من العلماء الذين لهم لسان صدق في الأمة قال : ان طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم شرك أصغر؛ ولا قال ان ذلك كالحلف بغير الله : اللهم إلا أن يكون بعض المنتسبين الى العلم من المتأخرين الضالين ، الذين قرروا الشرك وحسنوه للناس نظـما ونثرا ، وصار لهم نصيب من قول الله عز وجل (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت)

وأما قوله : (وان نظر فيه من جهة الاعتقاد فهو كالطيرة) فهو باطل ايضاً يظهر بطلانه مما تقدم .

فيقال : وأين الجامع بين شرك من جعل بينه وبين الله واسطة يدعوه ويسأله قضاء حاجاته وكشف كرباته ويقول هذا وسيلتي الى الله وبأب حاجتي اليه ، وبين من عبد الله وحده لاشريك له ودعاه خوفاً وطمعاً وأنزل حاجاته كلها به وكشف كرباته ، وتبرأ من عبادة كل معبود سواه ، ولكن وقع في قلبه شيء من الطيرة فالأول هو دين ابي جهل وأصحابه ، وهو دين اعداء الرسل من نوح الى يومنا هذا .

واما الطيرة فتقع على المؤمنين الموحدين، كما في الحديث المرفوع عن ابن مسعود (الطيرة شرك . وما منا الا ... ولكن الله يذهبه بالتوكل رواه ابو داود .

ورواه الترمذي وصححه ، وجعل آخره من قول ابن مسعود.

وفي مراسيل ابي داود أن النبي ﷺ قال ليس عبد الا سيدخل قلبه طيرة ، فاذا احسن بذلك فليقل انا عبد الله ، ماشاء الله ، لاقوة إلا بالله ، لايأتي بالحسنات الا الله ، ولا يذهب بالسيئات الا الله ، اشهد ان الله على كل قدير ، ثم يمضي لوجهه .

وفي مسند الامام احمد عن ابن عمر عن النبي ﷺ من أرجعته الطيرة عن حاجته فقد اشرك ، وكفارة ذلك ان يقول أحدهم اللهم لاطير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك .

وفي صحيح ابن حبان عن انس عن النبي ﷺ قال لا طيرة والطيرة على من تطير .

ومعنى هذا أن من تطير اتطيرا منهيا عنه بأن يعتمد على مايسمعه أو يراه من الامور التي يتطير بها حتى يمنعه عما يريد من حاجته فانه قد يصيبه مايكرهه .

واما من توكل على الله ولم ينظر الى الاسباب المخوفة ، وقال ماامر به من هذه الكلمات ومضى فانه لايضره ذلك ، فاذا كان هذا حال الطيرة ، فأين الجامع بينها وبين الشرك الاكبر في الاعتقاد.

فإن أراد السائل ان المتطير إذا زجر الطير او تطير بما يراه من علم النجوم وغيره ، او بما يسمعه من الكلام يعتقد ان ذلك من علم الغيب ، وان الطير تخبرة عما هو حائر اليه في المستقبل ، او ان الافلاك تدبر امر الخلائق فليس هذا من الشرك الأصغر ، بل هذا من الشرك الاكبر ، نظير شرك عباد الكواكب .

فصل

وأما قول القائل الثالث : أنه قد ورد في حديث للضرير، قوله يامحمد ؛ وفي الجامع للكبير، وعزاه للطبراني فيمن انفلتت عليه دابته قال (ياعباد الله احبسوا) وهذا دعاء ونداء لغير الله .

فنقول وبالله التوفيق :

اعلم أن الله سبحانه وتعالى: بعث محمدا ﷺ بالدعوة الى التوحيد والنهي عن الشرك : فحمى حمى التوحيد وسد كل طريق يوصل الشرك حتى في الألفاظ: حتى إن رجلا : قال له ماشاء الله وشئت : قال أجعلتني لله ندا؟ قل ماشاء الله وحده، فكيف بأمر بدعاء الميت أو الغائب

بل من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن دعاء الميت والغائب لم يأمر الله به ولا رسوله ، ولا فعله احد من الصحابة والتابعين ؛ ولا فعله احد من أئمة المسلمين ولا أحد من الصحابة استغاث به بعد موته ، ولو كان هذا جائزا او مشروعا لفعلوه ، ولو كان خيرا لسبقونا اليه ، وقد كان عندهم من قبور اصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار عدد كثير وهم متوافرون ، فما منهم من استغاث عند قبر صحابي، ولا دعاه ولا استغاث به ولا استنصر به

ومعلوم : ان مثل هذا مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله بل على نقل ماهو دونه ، وحينئذ فلا يخلوا .

إما أن يكون دعاء المرتى والغائبين او الدعاء عند قبورهم والتوسل بأصحابها افضل : او لا يكون .

فإن كان افضل فكيف خفي علما وعملا على الصحابة والتابعين وتابعيهم فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة علما وعملا بهذا الفضل العظيم ، ويظفر به الخلوف علما وعملا .

وهذان الحديثان الذان اوردهما السائل .

إما أن يكون الصحابة الذين رووهما عن رسول الله ﷺ جاهلين بمعناهما وعلمه هؤلاء المتأخرون .

وإما ان يكون الصحابة علموها علما وزهدوا فيها عملا مع حرصهم على الخير وطاعتهم لنبيهم ﷺ ، وكلاهما محال ، بل هم اعلم الناس بكلام رسول الله ﷺ ، واطوع الناس لاوامره واحرص الناس على كل خير ، وهم الذين نقلوا الينا سنة نبينا ﷺ فهل فهموا من هذه الاحاديث جواز دعاء الموتى والغائبين فضلا عن استحبابه والامر به

ومعلوم انه قد عرضت لهم شدائد واضطرارات وفتن وسنون مجدبات ، افلا جاءو الى النبي ﷺ شاكين ، وله مخاطبين ، وبكشفها عنهم وتفريج كربهم داعين .

والمضطر يتشبث بكل سبب يعلم ان له فيه نفعا ، لاسيما الدعاء فلو كان ذلك وسيلة مشروعة وعملا صالحا لفعلوه .

فهذه سنة رسول الله ﷺ في اهل القبور حتى توفاه الله .

وهذه سنة خلفائه الراشدين ، وهذه طريقة الصحابة والتابعين .

هل يمكن احد ان يأتي عنهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف انهم كانوا اذا كانت لهم حاجة او عرضت لهم شدة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها ، فضلا عن ان يسألوها حوائجهم .

فمن كان عنده في هذا الأثر أو حرف واحد في ذلك فليوقفنا عليه

نعم يمكنهم ان يأتوا عن الخلوف الذين يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون بكثير من المختلقات والحديات المكذوبات.

حتى لقد صنف في ذلك عدة مصنفات ليس فيها حديث صحيح عن رسول الله ﷺ ، وانما فيها التمويهات ، والحكايات المخترعات ، والاحاديث المكذوبات .

كقولهم : اذا أعيتكم الامور فعليكم باصحاب القبور .

وحديث لو أحسن احدكم ظنه بحجر لنفعه

وفيها حكايات لهم عن تلك القبور. ان فلان استغاث بالقبر الفلاني في شدة فخلص منها ، وفلان دعاه أو دعا به في حاجته فقضيت ، وفلان نزل به ضر فأتى صاحب ذلك القبر فكشف ضره ونحو ذلك مما هو مضاد لما بعث الله به محمدا ﷺ من الدين . وص له معرفة بما بعث الله به محمدا ﷺ يعلم انه حسم جانب التوحيد وسد الذرائع الموصلة الى الشرك، فحيف يستدل بكلامه على نقيض ماأمر به ، فيستدل بقوله في حديث الاعمى (يامحمد) على أنه ا بدعائه في حال غيبته. فيدل على جواز الاستعانة بالغائب ، وكذلك قوله (ياعباد الله احبسوا) يدل على ذلك

وأيضاً هذا من أعظم المحال وأبطل الباطل ، بل كلامه ﷺ وفق الوحي المنزل عليه ، يصدقه ولا يكذبه فهما عن مشكلات ، حده (وما ينطق عن الهوى ؛ إن هو إلا وحي يوحى)

ونحن نجيب عن هذين الحديثين بعون الله وتأييده من وجوه، فنقول:

الوجه الاول: أن القرآن فيه آيات محكمات هي أم الكتاب، وأخر متشابهات، فيرد المتشابه الى المحكم ولا يضرب كتاب الله بعضه ببعض

وكذلك السنة فيها محكم وفيها متشابه فيرد متشابهها الى المحكم ولا يضرب بعضها ببعض، فكلام النبي ﷺ لا يتناقض بل يصدق بعضه بعضا، ويوافق القرآن ولا يناقضه.

وهذا أصل عظيم تجب مراعاته. ومن أهمله فقد وقع في أمر عظيم وهو لا يدري

ومن المعلوم أن أدلة القرآن الدالة على النهي عن دعاء غير الله متظاهرة مع وضوحها وبيانها: كقوله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا).

وقوله تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء)

وقوله تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك، فإن فعلت فإنك اذاً من الظالمين) الآية إلى غير ذلك من الآيات البينات

فمن أعرض عن هذا كله وتعامى عنه، وأعرض عن الاحاديث الصحيحة الدالة على تحقيق التوحيد وإبطال الشرك وسد ذرائعه وتعلق بحديث ضعيف، بل ذكر بعض العلماء أنه حديث منكر وهو قوله اذا انفلتت دابة أحدكم فلينادِ (يا عباد الله احبسوا)

ومثل حديث الأعمى الذي فيه (يا محمد) وزعم ان رسول الله

ﷺ أمره أن يسأله في حال غيبه لم يكن هذا إلا من زيغ في قلبه قد تناوله ، قوله تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه إبتغاء الفتنة)

وقوله ﷺ فيما ثبت عنه في الصحيح من حديث عائشة (اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم

الوجه الثاني : أن يقال لمن استدل بالحديثين على دعاء غير الله : أتظن أن الرسول ﷺ يأمر أمته بالشرك ؟ وقد نهى عنه وجرد التوحيد لله ، ونهى عن دعوة غيره

وقال فيما ثبت عنه في صحيح للبخاري (من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار)

وقال لابن عباس اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله

فكيف يجتمع في قلبك أن الله بعثه بالتوحيد ، والتحذير من الاشراك ، ثم يامر أمته بعين ماحذرهم عنه

فمن زعم ان قوله (ياعباد الله احبسوا) يدل على جواز دعاء الغائب بالنص : وعلى دعاء الميت بالقياس على الغائب .

وكذلك حديث الاعمى هذا ، فقد حاد الله ورسوله ، حيث زعم ان الرسول أمر أمته بالاشراك الذي بعثه الله ينهى عنه .

الوجه الثالث أن يقال وعلى تقدير أن هذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله شرك أصغر .

فهل يظن من في قلبه رائحة ايمان ، ان الرسول ﷺ يأمر أمته بالشرك الاصغر ، الذي قد حرمه الله ورسوله

بل إذا علم الانسان أن هذا شرك أصغر ثم زعم أن رسول الله ﷺ أمر أمته به كان كافرا .

وقد قال تعالى (ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ـ الى قوله ـ ولا يامركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيامركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون)

فحاشا جنابه ﷺ أن يامر أمته بشرك ولو كان أصغر .

ومن استدل بهذين الحديثين على دعاء الموتى والغائبين ، فهو بين أمرين لامحيد له عنهما .

إما أن يقول : هذا يدل على ان دعاءهم مستحب أو جائز ، ومن قال ذلك فقد خالف اجماع المسلمين ، ومرق من الدين : فانه لم يقل أحد من المسلمين أن دعاء الموتي جائز أو مستحب .

وإما ان يقول إن ذلك يدل على أن دعاء الموتى شرك أصغر لاأكبر ، ومن قال ذلك فقد تناقض في استدلاله حيث استدل بكلام النبي ﷺ الذي أمر به على ما نهى عنه : وكيف يسوغ لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يستدل بامره على نهيه .

ثم يقال لهذا المستدل بقوله (فليناد ياعباد الله احبسوا) أخبرنا عن هذا الأمر هل هو اوجوب ، أو اللاستحباب ؟ أو الاباحة وهي أقل أحواله : وأما ماكان مكروها أو محرما ، فلا يكون فيما أمر به النبي ﷺ فما وجه الاستدلال .

الوجه الرابع أن هذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ ، فإن من رواته معروف بن حسان، وهو منكر الحديث قاله ابن عدي.

الوجه الخامس أن يقال : ان صح الحديث فلا دليل فيه على دعاء الميت والغائب . فان الحديث ورد في اذكار السفر، ومعناه أن الانسان إذا انفلتت دابته وعجز عنها فقد جعل الله عبادا من عباده الصالحين ، من صالحي الجن، أو من الملائكة، أو ممن لا يعلم من جنده سواه (وما يعلم جنود ربك إلا هو)

فأخبر النبي ﷺ :أن لله عبادا قد وكلهم بهذا الامر ، فإذا انفلتت الدابة ونادى صاحبها بما أمره به النبي ﷺ في هذا الحديث حبسوا عليه دابته : فان هؤلاء عباد الله احياء ، وقد جعل الله لهم قدرة على ذلك كما جعل للأنس، فهو ينادي من يسمع ويعين بنفسه كما ينادي اصحابه الذين معه من الانس، فأين هذا من الاستغاثة بأهل القبور ؟ بل هذا من جنس مايجوز طلبه من الاحياء ، فإن الإنسان يجوز له أن يسأل المخلوق من الأحياء مايقدر عليه كما قال تعالى (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه)

وكما في قوله تعالى (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر) وكما يستغيث الناس يوم القيامة بآدم ، ونوح ، ثم بابراهيم ، ثم بموسى ، ثم بعيسى . حتى يأتوا نبينا محمد ﷺ .

بل هذا من جنس استغاثته برفقته من الانس ، فإذا انفلتت دابته ونادى احد رفقته يا فلان رد الدابة لم يكن في هذا بأس .

فهذا الذي ورد في الحديث من جنس هذا، بل قد يكون قربة إذا قصد به امتثال أمر النبي ﷺ .

فأين هذا من استغاثة العبادة ؟ بأن ينادي ميتا أو غائبا في قطر شاسع سواء كان نبياً أو عبداً صالحاً .

الوجه السادس : أن الله تعالى قال (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي)

فبعد أن اكمله بفضله ورحمته فلا يحل أن يخترع فيه ماليس منه ، ونقيس عليه مالا يقاس عليه ، بل الواجب اتباع ماورد عن النبي ﷺ كما أمر به ، فإذا نادى شخصا معينا باسمه فقد كذب على رسول الله ﷺ ، ونادى من لم يؤمر بندائه وليس ذلك في كل حركة وسكون وقيام وقعود . وانما ذلك في امر مخصوص .

وأما حديث الأعمى : فالجواب عليه من وجوه .

الوجه الأول : أن الحديث إذا شذ عن قواعد الشرع لا يعمل به.

فانهم قالوا : ان حد الحديث الصحيح إذا رواه العدل الظابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة .

فهذا الحديث لا يجوز الاحتجاج به لمخالفته قواعد الشرع واصوله.

بل من احتج به على دعاء الميت والغائب فقد خالف نصوص الكتاب والسنة : مع انه بحمد الله يوافق ذلك ولا يخالفه، فليس فيه دليل على ماذكر السائل كما سنبينه إنشاء الله . وكيف يستدل بما ليس فيه دلالة مطابقة ولا تضمن ولا التزام.

الوجه الثاني أن يقال هذا الحديث قد رواه النسائي في عمل اليوم والليلة ، والبيهقي وابن شاهين في دلائلهما كلهم عن عثمان بن حنيف ولم يذكروا فيه هذه اللفظة اعني « يا محمد »

ولفظ الحديث عندهم عن عثمان بن حنيف أن رجلا أعمى اتى النبي ﷺ فقال يانبي الله إني قد أصبت في بصري فادع الله لي فقال له النبي ﷺ : توضأ وصل ركعتين، ثم قل اللهم إني اتوجه اليك بنبيي محمد نبي الرحمة : إني اتشفع به اليك في رد بصري : اللهم شفع نبيي في ففعل ذلك فرد الله عليه بصره : وقال له (اذا كانت لك حاجة فبمثل ذلك فافعل) انتهى .

فهذا الحديث بهذا اللفظ لاحجة فيه لمبطل ، لأن غايته أنه توسل بالنبي ﷺ .

وساقه الترمذي بسياق قريب من هذا : فقال حدثنا محمود بن غيلان ، ثنا عثمان بن عمر ثنا شعبة عن ابي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف : أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ ، فقال ادع الله لي أن يعافيني قال ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك : قال فادعه : فأمره ان يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء ، اللهم اني اسئلك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، اني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى . اللهم فشفعه في : هذا حديث حسن وصحيح غريب لا يعرف إلا من حديث ابي جعفر وهو غير الخطمي ، انتهى .

هذا اللفظ بحروفه ،وفي نسخة أخرى «اني توجهت به الى ربي» وليست هذه اللفظة في الحديث في سياق هؤلاء الائمة .

أعني قوله « يامحمد » التي هي غاية مايتعلق به المبطلون.

الوجه الثالث أن يقال على صحة هذه اللفظة فليس فيها مايدل على دعاء النبي ﷺ بعد موته،ولو كان فيها مايدل على ذلك لفعله الصحابة رضي الله عنهم . فلما ثبت أن الصحابة لم يفعلوه، بل ولا أجازوه علمنا أنه ليس في ذلك دلالة .

فيبقى ان يقال مامعناه ، فنقول : ذكر العلماء في معناه قولين.

أحدهما أنه توسل بالنبي ﷺ ، فيدل على جواز التوسل به ﷺ في حياته وبعد وفاته، إلا ان التوسل ليس فيه دعاء له ولا استغاثة به وإنما سؤال الله بجاهه .

وهذا ذكره الفقيه أبو محمد العزيز عبد السلام في فتاويه ، فانه أفتى بأنه لايجوز التوسل بغير النبي ﷺ .

قال : وأما التوسل به ﷺ فجائز — ان صح الحديث فيه يعني حديث الأعمى .

قال الشيخ بن تيمية رحمه الله تعالى : أما التوسل الى الله بغير نبينا محمد ﷺ فلا نعلم أحدا من السلف فعله؛ ولا روى فيه آثرا.

ولا نعلم فيه إلا ما افتى ابن عبد السلام من المنع .

وأما التوسل بالنبي ﷺ ففيه حديث في السنن وهو حديث الأعمى الذي اصيب ببصره فلأجل هذا الحديث استثنى الشيخ التوسل به.

وللناس في معنى هذا الحديث قولان :

أحدهما، ان هذا التوسل هو الذي ذكره عمر لما استسقى بالعباس فذكر انهم كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ في الاستسقاء ، ثم توسلوا بعمه العباس بعد موته، وتوسلهم به هو استسقاءهم بـه . بحيث يدعو ويدعون معه فيكون هو وسيلتهم الى الله .

وهذا لم يفعله الصحابة بعد موته وفي مغيبه، والنبي ﷺ كان في مثل هذا شافعا لهم داعيا ، ولهذا قال في حديث الأعمى اللهم فشفعه في . فعلم ان النبي ﷺ شفع فيه فسأل الله ان يشفعه فيه.

والثاني : أن التوسل به يكون في حياته وبعد وفاته : انتهى كلام الشيخ رحمه الله .

فتبين بهذا أن معنى التوسل الى الله هو بدعائه وشفاعته في حضوره.

أو التوسل بذاته بأن يسأل الله بجاهه ، والتوسل غير الاستغاثة فانه لم يقل احد ان من قال : اللهم إني اسالك بحق فلان انه استغاث به : هل انما استغاث بمن دعاه. بل العامة الذين يتوسلون في ادعيتهم بامور كقول احدهم : اتوسل الك بحق الشيخ فلان، أو نحو ذلك مما يقولونه في ادعيتهم يعلمون انهم لا يستغيثون بهذه الامـــور ، فان المستغيث بالشيء طالب منه سائل له : والمتوسل به لا يدعي ولا يسأل ولا يطلب منه وانما يطلب به، وكل احد يفرق بين المدعو والمدعو بـــه .

والاستغاثة هي طلب الغوث، وهو ازالة الشدة كالاستنصار طلب النصر، والاستعانة طلب العون، فكما أحد يفرق بين السؤل والمسؤل به

فـ لحديث على هـــذا المعنى الذي ذهب اليه ابن عبد السلام ؛ لاحجة فيه لمن جوز الاستغاثه بالنبي ﷺ بعد وفاته ، فان هذا لم يفهمه احـد من العلماء من الحديث ، ولم يذكروا في معنـــاه إلا هذين القولين الذين ذكرناهما .

أحدهما ذهب اليه ابن عبد السلام .

والثاني ماذهب اليه الأكثرون،أن معناه التوسل الى الله بدعائه وشفاعته بحضوره ، كما في صحيح البخاري ، أن عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس ، فقال اللهم إنا كنـــا اذا اجدبنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون .

فبين عمر أنهم كانوا يتوسلون بدعائه ، كما في الصحيحين عن انس ان رجلا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو امن دار القضاء ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائما ثم قال : يارسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله ان يغيثنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه فقـال : اللهم أغثنا : الحديث بطوله .

ففي هذا أنه قال : ادع الله ان يغيثنا ، فلما كثر الغيث قـــال ادع الله ان يمسكها عنا . فهذا هو التوسل الذي كانوا يفعلونه .

فلما مات ﷺ لم يتوسلوا به ، ولوكان ذلك مشروعا لم يعدلوا الى العباس ، وكيف يتركون التوسل بنبيهم ويعدلون الى العباس.

وكذلك معاوية استسقى بيزيد ابن الأسود الجرشي وقال اللهم انا نتشفع اليك بخيارنا ، يايزيد ارفع يديك الى الله ، فرفع يديه

ودعا ودعوا فسقوا .

وقال ابو العباس بن تيمية : في رده على البكري لما تكلم على حديث الأعمى . قال: والأعمى كان قد طلب من النبي ﷺ، كما كان الصحابة يطلبون منه في الاستسقاء .

وقوله : انوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة أي بدعائه وشفاعته لي. ولهذا قال في تمام الحديث (اللهم فشفعه في)

فالذي في الحديث متفق على جوازه، وليس هو مما نحن فيه انتهى.

وقال رحمه الله في موضع آخر : لفظ التوجه والتوسل ، يراد به أن يتوجه بهم ويتوسل الى الله بدعائهم وشفاعتهم ، فهذا هو الذي جاء في الفاظ السلف من الصحابة رضي الله عنهم : كقول عمر : اللهم انا كنا اذا اجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فأسقنا فيسقون .

فهذا إخبار من عمر رضي الله عنه عما كانوا يفعلونه، وتوسلوا بالعباس كما كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ .

وكذلك معاوية لما استسقى بأهل الشام توسل بيزيد .

ومن هذا الباب ما في البخاري عن عمر رضي الله عنه قال ربما ذكرت قول الشاعر : وانا أنظر الى وجه النبي ﷺ يستسقي فما ينزل حتى يجيش الميزاب .

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ومن هذا الباب حديث الأعمى : فأنه أتى النبي ﷺ ، فقال ادع الله ان يعافيني ، فقال ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك ، قال ادع الله ، فأمره ان يتوضأ فيحسن الوضوء ، ويدعو هذا الدعاء (اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يامحمد اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى اللهم فشفعه في)

فأمره ان يطلب من الله ان يشفع فيه النبي ﷺ . وانما يكون طلبا لتشفيعه فيه اذا شفع فيه فدعا الله له .

وكذلك في اول الحديث انه طلب من النبي ﷺ ان يدعو له .

فدل الحديث على ان النبي ﷺ شفع له ودعا له .

وان النبي ﷺ امره هو ان يدعو الله وان يسأله قبول شفاعة النبي ﷺ .

فهذا هو نظير توسلهم به في الاستسقاء حيث طلبو منه ان يدعو الله لهم ؛ ودعوا هم الله تعالى ايضاً .

وقوله يامحمد اني توجهت بك الى ربي فيه خطاب الحاضر في قلبه ، كما نقول في صلاتنا ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، او كما يسحر ليستحضر الانسان من يحبه او يبغضه ويخاطبه ، وهذا كثير

فهذا كله يبين ان معنى التوسل والتوجه به وبالعباس وغيرهما في كلامهم هو التوسل والتوجه بدعائه وبدعاء العباس ودعاء من توسطوا به ، وهذا مشروع بالاتفاق ولا ريب فيه انتهى كلام ابي العباس بن تيمية .

وفيما ذكرنا كفاية لمن نور الله قلبه ؛ ومن اعمى الله قلبه لم تزده كثرة النقول إلا حيرة وضلالا (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)

فصل

واما قول القائل : واما التوسل فقد اخرج الحاكم في مستدركه وصححه ان آدم توسل بالنبي ﷺ ، وورد اللهم بحق نبيك والانبياء قبلي ولا ادري من خرجه .

فأما التوسل بالنبي ﷺ خاصة : فقد رأيت لشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب نقلاً في جواز ذلك عن ابن عبد السلام، فبقي الكلام في النبي وفي غيره من الانبياء ، وفي معاني الأحاديث الأخر وما حكمها ، وما الحجة المقابلة لما يقولون المخصصة لما يفهمون .

واما التوسل بغير الانبياء فيوردون ان عمر توسل بالعباس في الاستسقاء فسقوا وطفق الناس يتمسحون به ويقولون هذا الوسيلة الى الله .

فاما اول القصة فهي في البخاري وهي لدينا بحمد الله .

وقولهم فطفق الى آخره لا ادري من قالها فما تقولون في معناها .

وقد رأيت لبعض المحققين ان التوسل بالاولياء غير التوسل اليهم ، فالأول جائز ، والثاني شرك .

وفي عدة الحصن الحصين للجزائري، والتوسل الى الله بانبيائه ورسله .

فالجواب : ان يقال : العبادات بناؤها على الأمر والإتباع لا على الهوى والابتداع .

والتوسل الذي جاءت به السنة وتواتر في الاحاديث هو التوسل والتوجه الى الله بالاسماء والصفات، وبالاعمال الصالحة كالادعية

الواردة في السنة : كقوله (اللهم اني اسالك بان لك الحمد لا إله الا انت المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام لا إله إلا انت وفي الحديث الآخر اللهم اني اسالك باني اشهد ان لا إله إلا انت ياحي ياقيوم ، الأحـد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد .

وقوله في الحديث الآخر اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك .

وكما يحكي الله سبحانه عن عباده المؤمنين : انهم توسلوا اليه بصالح اعمالهم ، فقال حاكياً عنهم (ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للأيمان ان آمنوا بربكم فآمنا) الآية وكما ثبت في الصحيحين من قصة الثلاثة الذين اووا إلى الغار ، فانطبقت عليهم الصخرة فتوسلوا الى الله بصالح اعمالهم .

وكالتوسل بدعاء الانبياء والصالحين وشفاعتهم في حياتهم ، كما ذكرنا من توسل الصحـابـة بالنبي ﷺ في الاستسقاء . وتوسلهم بالعباس وبيزيد بن الاسود ، وتوسل الاعمى بدعـاء النبي ﷺ وشفاعته له ، فهذا كله مما لانزاع فيه : بل هو من الامور المشروعة ، وهو من الوسيلة التي امر الله بها في قوله تعالى .
(ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة)

واما التوسل بالذات فيقال : ما الدليل بجواز سؤال الله بذوات المخلوقين ؟

ومن قال هذا من الصحابة والتابعين : فالذي فعله الصحابة رضي الله عنهم هو التوسل الى الله بالأسماء والصفات والتوحيد والتوسل بما أمر الله به من الايمان بالرسل ومحبتهم وطاعتهم ونحو ذلك

وكذلك توسلوا بدعاء النبي ﷺ وشفاعته في حياته، وبدعاء العباس ويزيد .

واما التوسل بالذات بعد الممات فلا دليل عليه، ولا قاله احد من السلف بل المنقول عنهم يناقض ذلك .

وقد نص غير واحد من العلماء على ان هـذا لايجوز .

: ونقل عن بعضهم جوازه .

وهذه المسألة وغيرها من المسائل إذا وقع فيها النزاع بين العلماء فالواجب ردما تنازعوا فيه الى الله والرسول. قال تعالى (فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ،إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)

وقال تعالى « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله .

ومعلوم ان هـذا لم يكن منقولا عن النبي ﷺ ولا مشهورا بين السلف ، وأكثر العلماء على النهي عنه .

ولاريب ان الأنبياء والصالحين لهم الجاه عند الله تعالى : لكن الذين لهم النفع عند الله تعالى من الجاه والمنازل أمر يعود نفعه اليهم ونحن نتشفع من ذلك باتباعنا لهم ومحبتنا، فاذا توسلنا الى الله بايماننا بنبيه ﷺ ومحبته وطاعته ، واتباع سنته كان هذا من اعظم الوسائل .

واما التوسل بنفس ذاته مع عدم التوسل بالايمان به وطاعته فلا يكون وسيلة ، فالتوسل بالمخلوق اذا لم يتوسل بما مر من المتوسل به من الدعاء للمتوسل او بمحبته واتباعه فبأي شيء يتوسل به .

والانسان اذا توسل الى غيره بوسيلة .

فاما ان يطلب من الوسيلة الشفاعة له عندذلك .

مثل ان يقول لابي الرجل او صديقه أو من يكرم عليه اشفع لنا عند فلان وهذا جائز .

وإما أن يقسم عليه ، ولايجوز الاقسام على مخلوق بمخلوق ، كما انه لايجوز أن يقسم على الله بالمخلوقين .

فالتوسل الى الله بذات خلقه بدعة مكروهة لم يفعلها السلف من الصحابة والتابعين لهم باحسان .

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه (إغاثة اللهفان في مكايد الشيطان) وهذه الامور المبتدعة عند القبور : انواع .

أبعدها عن الشرع ان يسأل الميت حاجتة كما يفعله كثير : وهؤلا من جنس عباد الاصنام .

ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت كما يتمثل لعباد الاصنام.

وكذلك السجود للقبر وتقبيله والتمسح به .

النوع الثاني : ان يسأل الله به وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة اجماعا .

النوع الثالث : ان يظن الدعاء عنده مستجابا ، أو انه افضل من الدعاء في المسجد ، فيقصد القبر لذلك فهذا ايضاً من المنكر اجماعا

وما عملت فيه نزاعا بين أئمة الدين، وان كان كثير من المتأخرين يفعله.

وبالجملة : فأكثر اهل الارض مفتونون بعبادة الاصنام ، ولم يتخلص منه الا الحنفاء اتباع ملة ابراهيم، وعبادتها في الارض من قبل نوح . وهي كلها ووقوفها وسدنتها وحجابها والكتب المصنفة في عبادتها قد طبقت الأرض .

قال إمام الحنفاء عليه الصلاة والسلام . (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام ، رب إنهن اضللن كثيرا من الناس)

وكفى بمعرفة انهم اكثر اهل الارض ماصح عن النبي ﷺ ان بعث النار من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون .

قال تعالى (وان تطع اكثر من الارض يضلوك عن سبل الله)

ولولم تكن الفتنة بعبادة الاصنام عظيمة لما اقدم عبادها على بذل نفوسهم وأموالهم وابنائهم دونها وهم يشاهدون مصارع اخوانهم وما حل بهم ولايزيدهم ذلك إلا حباً لها وتعظيما، ويوصي بعضهم بعضا بالصبر عليها ، انتهى كلامه رحمه الله .

والمقصود انه حكى الاجماع على ان التوسل الى الله بصاحب القبر بدعة اجماعا .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الرد على البكري ومازلت ابحث واكشف ماامكنني عن كلام السلف والائمة والعلماء هل جوز احد منهم التوسل بالصالحين في الدعاء ، او فعل ذلك أحد منهم فما وجدته، ثم وقفت على فتيا للفقيه ابي محمد بن عبدالسلام أفتى بأنه لايجوز التوسل بغير النبي ﷺ ، واما النبي ﷺ فجوز

التوسل به إن صح الحديث في ذلك .

وذكر القدوري في شرح الكرخي عن ابي حنيفة وابي يوسف أنه لايجوز ان يسأل الله الا به ، انتهى كلامه .

وذكر ابن القيم رحمه الله عن ابي الحسن القدوري نحو ذلك فقال رحمه الله : قال القدوري قال بشر بن الوليد سمعت أبايوسف قال : قال ابو حنيفة لاينبغي لاحد ان يدعو الله الا به .

وأكره ان يقول بمعاقد العز من عرشك، او يقول بحق خلقك، والجواز قول ابي يوسف .

قال أبو يوسف بمعقد العز من عرشك هو الله فلا أكره ذلك واكره بحق فلان، أو بحق انبيائك ورسلك، وبحق البيت والمشعر الحرام ، قال القدوري : المسألة لاتجوز لأنه لاحق لمخلوق على الخالق فلا تجوز يعني وفاقا .

وقال البلدجي في شرح المختاره : ويكره ان يدعو الله إلا به فلا يقول اسألك بفلان او بملائكتك وأنبيائك ونحو ذلك لأنه لاحق لمخلوق على خالق انتهى .

وقال ابو العباس ابن تيمية : في كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) لفظ التوسل بالشخص والتوجه به ، والسؤال به ، فيه اجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة .

فانه يراد به التسبب به لكونه داعيا وشافعا مثلا ، او لكون الداعي مجيباً له مطيعاً لامره مقتدياً به ، فيكون التسبب انما هو بمحبة السائل واتباعه له ، واما بدعاء الوسيلة وشفاعته ويراد به

الاقسام به والتوسل بذاته ، فهذا هو الذي كرهوه ونهوا عنه .

وكذلك لفظ السؤال بشيء قد يراد به لمعنى الاول وهو التسبب به لكونه سببا في حصول المطلوب ، وقد يراد به الاقسام .

ومن الأول حديث الثلاثة الذين أووا الى غار وهو حديث مشهور في الصحيحين وغيرهما : فان الصخرة انطبقت عليهم فقالوا ليدع كل رجل منكم بأفضل عمله . فدعو الله بصالح اعمالهم . لان الاعمال الصالحة هي اعظم ما يتوسل به العبد الى الله ، ويتوجه به اليه ويسأل به ، وهؤلاء دعوه بعبادته ، وفعل ما امر به من العمل الصالح وسؤله والتضرع اليه .

ومن هذا ما يذكر عن الفضيل ابن عياض انه اصابه عسر البول فقال بحبي اياك إلا فرجت عني ففرج عنه .

وكذلك المرأة المهاجرة التي احرا الله ابنها لما قالت : اللهم اني آمنت بك وبرسولك وهاجرت في سبيلك : وسألت الله ان يحي ولدها ، وأمثال ذلك .

وهذا كما قال المؤمنون (ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) الايات من سؤال الله والتوسل اليه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه

وأما قوله في حديث ابي سعيد (أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا)

فهذا الحديث رواه عطية العوفي وفيه ضعف ، لكن يقدر ثبوته هو من هذا الباب .

فإن حق السائلين عليه ان يجيبهم، وحق المطيعين له ان يثيبهم.

فالسؤال له، والطاعة سبب لحصول اجابته واثابته، فهو من التوسل به والتوجه به والتسبب به؛ ولو قدر انه قسم لكان قسما بما هو من صفاته، فان اجابته واثابته من افعاله، فصار هذا كقوله في الحديث الصحيح (أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك؛ وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، انت كما أثنيت على نفسك).

و لاستعاذة لا تصح بمخلوق، كما نص عليه الامام أحمد وغيره من لأئمة.

فاستعاذ ﷺ بعفوه ومعافاته من عقوبته، مع انه لا يستعاذ بمخلوق، كسؤال الله باجابته واثابته وان كان لا يسأل المخلوق: ومن قال من العلماء لا يسأل إلا به لا ينافي السؤال بطاعته، كما أن الحلف لا يشرع الا بالله؛ ومن حلف بغير الله فقد اشرك، ومع هذا فالحلف بعزة الله، ولعمر الله، ونحو ذلك مما ثبت عن النبي ﷺ الحلف به لم يدخل في الحلف بغير الله.

واما قول بعض الناس اسألك بالله وبالرحمة، وقرآة من قرأ (تسألون به والارحام) فهو من باب التسبب بها، فان الرحم توجب الصلة وتقتضي ان يصل الانسان به قرابته.

فسؤال السائل بالرحم لغيره لوسل اليه بما يوجب صلته من القرابة التي بينهما، ليس هو من باب الاقسام ولا من باب التوسل بما يقتضي المطلوب؛ كالتوسل بدعاء الانبياء وطاعتهم.

ومن هذا الباب ما يروي عن عبدالله بن جعفر أنه قال : كنت اذا سئلت عليا شيئا فلم يعطنيه ، قلت له بحق جعفر إلا ما اعطيتنيه فيعطنيه ، أو كما قال بعض الناس ظن ، فان هذا من باب الاقسام عليه بجعفر ، ومن باب قولهم (أسألك بحق السائلين) ونحو ذلك وليس كذلك ، (بل جعفر هو اخو علي وعبدالله ابنه ، وله عليه حق الصلة فصلة عبدالله صلة لأبيه جعفر ، كما في الحديث ، ان من ابر البر ان يصل الرجل أهل ود ابيه بعد ان يولي .

ولو كان من هذا الباب الذي ظنوه لكان سؤاله لعلي بحق النبي ﷺ وابراهيم الخليل ونحوهما أولى من سؤاله بحق جعفر ولكان علي الى تعظيم رسول الله ﷺ ومحبته واجابة السائل اسرع منه الى اجابة السائل ، بغيره ، انتهى مخلصا .

وأما قول القائل : فقد اخرج الحاكم في مستدركه وصححه ان آدم توسل بالنبي ﷺ ، فهو من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، قال احمد بن حنبل ضعيف ؛ وقال ابن معين ليس حديثه بشيء ، وضعفه ابن المديني جدا ؛ وقال أبو داود أولاد زيد ابن أسلم كلهم ضعيف : وقال ابن عبد الحكم سمعت الشافعي يقول ذكر رجل لمالك حديثا : فقال من حدثك فذكر له اسنادا منقطعا فقال اذهب الى عبد الرحمن ابن زيد يحدثك عن ابيه عن نوح عليه السلام ، وقال ابو زرعة ضعيف ، وقال ابو حاتم ليس بقوي في الحديث كان في نفسه صالحا ، وفي الحديث واهيا ، وقال ابن حبان كان يقلب الاخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع

المراسيل واسناد الموقوف ؛ فاستحق الترك ؛ وقال ابن سعد كان كثير الحديث ضعيفاً جداً ، وقال ابن خزيمة ليس هـو ممن يحتج أهل العلم بحديثه ، وقال الحكم وابو نعيم روي عن ابيه أحاديث موضوعة ؛ وقال ابن الجوزي اجمعوا على ضعفه .

فهذا الحديث الذي استدل به تفرد به عبد الرحمن بن زيـد وهو كما تسـمع .

وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله في رده على البكري.

وأما قول القائل قد توسل به الانبياء، آدم، وادريس، ونوح وأيوب ، كما هو مذكور في كتب التفسير وغيرها.

فيقال مثل هذه القصص لايجوز الاحتجاج بها باجماع المسلمين.

فان الناس لهم في شرع من قبلنا قولان : احدهما انه ليس بحجة.

الثاني انه حجة مالم يأت شرعنا بخلافه . بشرط ان يثبت ذلك بنقل معلوم ، كاخبار النبي ﷺ .

وأما الاعتماد على اخبار أهل الكتاب ، او نقل من نقل عنهم فهذا لايجوز باتفاق المسلمين، لأن في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (اذا حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم)

وهذه القصص التي ذكروا فيها توسل الانبياء بذاتـه ليست في شيء من كتب الحديث المعتمدة ، ولا لها اسناد معروف عن احد من الصحابة ، وانما تذكر مرسلة كما تـذكر الاسرائيليات التي تروى عمن لايعرف .

وقد بسط الكلام في غير هذا الموضع عما نقل في ذلك عن النبي ﷺ وتكلمنا عليه ، وبينا بطلان جميعه .

ولو نقل ذلك عن كعب ، ووهب ، ومالك بن دينار ونحوهم ممن ينقل عن اهل الكتاب لم يجز ان يحتج به لأن الواحد من هؤلاء ، وان كان ثقة ، فغاية ماعنده أن ينقل عن كتاب من كتب أهل الكتاب او يسمعه من بعضهم ، فانه بينه وبين الأنبياء من طويل .

والمرسل عن المجهول من اهل الكتاب الذي لا يعرف عدله وصدقه لا يقبل باتفاق المسلمين .

ومراسيل أهل زماننا لا تقبل عند علمائنا مع كون ديننا محفوظا محروسا ، فكيف بما يرسل عن آدم وادريس ونوح وايوب عليهم السلام

والقرآن قد اخبر بادعية الأنبياء وتوباتهم واستغفارهم وليس فيها شيء من هذا .

وقد نقل ابو نعيم في الحلية : ان داود عليه السلام قال يارب اسألك بحق آبائي ابراهيم ، واسحاق ، ويعقوب ، فقال ياداود ، واي حق لآبائك علي ؟

فان كان في الاسرائيليات حجة ؛ فهذا يدل على انه لا يسئل بحق الأنبياء ، وان لم يكن حجة لم يجز الاحتجاج بتلك الاسرائيليات انتهى كلامه .

وبين رحمه الله أنه لا يصح في هذا شيء عن النبي ﷺ ، وان جميع ماروي في ذلك باطل لا أصل له .

وأما قوله : واما التوسل بالنبي ﷺ خاصة : فقد رأيت لشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب نقلا في جواز ذلك عن ابن عبد السلام ، فنقول :

قد تقدم ان التوسل المشروع هو التوسل الى الله بالاسماء والصفات والتوحيد .

وكذلك التوسل بمحبة النبي ﷺ ، والايمان به ؛ وطاعته .

وكذلك التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كله مشروع لاريب

وأما التوسل بنفس الذات، فقد قدمنا ان اكثر العلماء نهو عن ذلك ، وجعلوه من البدع المكروهة ، وبعضهم رخص في ذلك وهو قول ضعيف ، ومردود .

والعز ابن عبد السلام انكر التوسل الى الله بغير النبي ﷺ .

وأما التوسل بالنبي ﷺ فعلق القول بجوازه على صحة حديث الاعمى ، لأنه فهم من الحديث ان الاعمى توسل بذات النبي ﷺ .

وأما الجمهور ؛ فحملوا حديث الاعمى على انه توسل بدعاء النبي ﷺ كما كان الصحابة يتوسلون به في الاستسقاء ، كما في حديث أنس الذي رواه البخاري وقد تقدم (١)

---

(١) جملة القول في حديث الأعمى : ان له وجها موافقا للعقائد والقواعد ، وهو طلب الدعاء والتشفع به ، فيؤخذ به ، ووجها مخالفا لها فلا يجوز الاخذ به لشذوذه مع مخالفته، وانه لم يرد =

وشيخنا رحمه الله نقل كلام العز بن عبد السلام ليبين ان مسألة التوسل بغير النبي ﷺ بدعة مكروهة : واما التوسل بالنبي ﷺ فأجازه بعض العلماء كالعز بن عبد السلام .

والسائل فهم من نقل الشيخ أنه اختاره ، وليس الامر كذلك بل اختياره رحمه الله هو ماذهب اليه الجمهور أن ذلك بدعة محدثة لم يفعلها الصحابة ولا التابعون ، فانه لم ينقل عن أحد منهم انه توسل بالنبي ﷺ بعد موته كما قدمناه

وأما قوله : وأما التوسل بغير الانبياء فيوردون ان عمر توسل بالعباس في الاستسقاء ، وقد تقدم بيانه بما فيه كفاية

وبيان أن التوسل بدعاء الصالحين في الاستسقاء وغيره مشروع كما فعله الصحابة لما توسلوا بالعباس ويزيد ابن الاسود .

وليس كلا منا في هذا ؛ وانما الكلام في التوسل بنفس الذات.

وأما قولهم في حديث العباس فطفق الناس يتمسحون به فلم نقف لها على اصل ولا رأيناها في شيء من الكتب : وعلى تقدير ثبوتها فليس فيها حجة على التوسل بالاموات .

= شي في معناه عن أحد من الصحابة ، ورواية الشاذ كهذا على فرض صحته ، لايحتج به مطلقا ، فكيف اذا كانت في مسألة تعبدية ، تمس العقيدة فهذه لاتثبت الا بنص قطعي لرواية والدلالة معاً

فصـــل

وأما قوله : إن سلمنا هذا القول وظهر دليله فالجاهل معذور لأنه لم يدر الشرك والكفر ، ومن مات قبل البيان ليس بكافر . وحكمه حكم المسلمين في الدنيا والآخرة ، لأن قصة ذات انواط ، وبني اسرائيل حين جاوزوا البحر تدل على ذلك ، الخ .

فالجواب: ان يقال ان الله ارسل الرسل (مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فكل من بلغه القرآن ودعوة الرسول ﷺ فقد قامت عليه الحجة ، قال الله تعالى (لأنذركم به ومن بلغ) وقال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) .

وقد اجمع العلماء على أن من بلغته دعوة الرسول ﷺ ان حجة الله قائمة عليه .

ومعلوم بالاضطرار من الدين أن الله سبحانه بعث محمدا ﷺ وانزل عليه الكتاب ليعبد وحده ولا يشرك معه غيره فلا يدعى إلا هو ولا يذبح إلا له ، ولا ينذر إلا له ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يخاف خوف السر إلا منه ، والقرآن مملؤ من هذا .

قال الله تعالى (فلا تدعوا مع الله احدا) وقال (له دعوة الحق) وقال تعالى « ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك) وقال (فصل لربك وانحر) وقال (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)

وقال (فاعبده وتوكل عليه) وقال (فإياي فارهبون)
وقال (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين)
وقال (ولم يخش الا الله فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين)
والآيات الواردة في هذا المعنى كثيرة .

والله سبحانه لا يعذب خلقه الا بعد الاعذار اليهم ، فأرسل رسله وأنزل كتبه لئلا يقولوا (لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين)

وقال تعالى (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزي)

فكل من بلغه القرآن فليس بمعذور : فان الاصول الكبار التي هي أصل دين الاسلام قد بينها الله في كتابه ، ووضحها ، واقام بها الحجة على عباده ؛ وليس المراد بقيام الحجة ان يفهمها الانسان فهما جليا ، كما يفهمها من هداه الله ووفقه ، وانقاد لأمره (١) فان الكفار قد قامت عليهم حجة الله مع اخباره بأنه جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهو كلامه .

---

(١) هذا القيد الذي قيد الشيخ به الفهم هنا قد ازال اللبس الذي يتبادر الى الذهن من بعض اطلاقاته في مواضع اخرى ؛ واتبعه فيه بعض علماء نجد ، فصار بعضهم يقول بأن الحجة تقوم على الناس ببلوغ القرآن وان لم يفهمه من بلغه مطلقا .

وهذا لا يعقل ولا يتفق مع قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول =

فقال وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه ، وفي آذانهم وقرا)
وقال (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في
آذانهم وقر وهو عليهم عمى)

= من بعد ماتبين له الهدى) الاية الذي بنى عليها المحققون قولهم
ان فهم الدعوة يدلها شرط لقيام الحجة .

وقد علمنا من هذا المعيد ان الفهم الذي لا يشترطه الشيخ هو
فقه نصوص القرآن ، المؤثر في النفس ، الحامل لها على ترك الباطل
كما يفقهها من اهتدى بها ، فهم التفقه في الحقيقة أخص من فهم
المعنى اللغوي ، كما يدل عليه استعمال القرآن ؛ وحديث (من يرد
الله به خيرا يفقهه في الدين متفق عليه) وفي رواية حسنة (ويلهمه
رشده) .

والمشركون الذين شبههم الله بالصم البكم المختوم على قلوبهم
والمطبوع عليها والمجعول عليها الاكنة كلهم قد فهموا مدلول آيات
القرآن في التوحيد ، والبعث ، والرسالة ، لأنهم أهل اللغة ، وقد انزلت
بأفصح اساليبها ، ولاكنهم لم يهتدوا بها لثلاثة اسباب .

أحدها العناد من الرؤساء : الثاني : التقليد من الدهماء .

الثالث : الشبهات على الاصول ثلاثة ، كزعمهم ان دعاء غير
الله لا يضر إذا كان بقصد التقريب اليه تعالى ، والشفاعة عنده :
وان الرسول بشر مثلهم فلا يعقل ان يكون رسولا من الله ، وانه
تعالى لو اراد ان يبعث رسولا لبعث ملكا أو لا يبده بملك يكون
معه نذيرا ، وان البعث لا يعقل .

وقال تعالى (انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) وقال (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا)

والآيات في هذا المعنى كثيرة : يخبر سبحانه انهم لم يفهموا القرآن ولم يفقهوه ؛ وانه عاقبهم بجعل الاكنة على قلوبهم ، والوقر في آذانهم ، وانه ختم على قلوبهم ، واسماعهم ، وابصارهم ، (١) فلم يعذرهم مع هذا كله ، بل حكم بكفرهم وأمر بقتالهم ، فقاتلهم رسول الله ﷺ وحكم بكفرهم .

فهذا بين لك ان بلوغ الحجة نوع وفهمها نوع آخر (٢)

وقد سئل شيخنا رحمه الله تعالى عن هذه المسألة فأجاب اسائل قوله :

هذا من العجب : كيف تشكون في هذا وقد وضحه الله لكم مرارا ، فان الذي لم تقم عليه الحجة هو الحديث العهد بالاسلام والذي نشأ ببادية بعيدة ، أو يكون ذلك في مسألة خفية مثل الصرف والعطف ، والكفر حتى يعرف

واما اصول الدين التي وضحها الله واحكمها في كتابه ، وان حجة الله هي القرآن فمن بلغه فقد بلغته الحجة . ولكن أصل الاشكال

---

(١) هذه التمثيلات بيان بليغ لاسحر اذ كفرهم عنيهم وعدم رجوعهم عنه ، وهو سبب العقاب لاعيه

(٢) اي فهما على الوجه المؤثر في حصول الهدى ؛ لانهم لخطأ والمعنى اللغوي كما تقدم .

إنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وفهم الحجة : فان اكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم ؛ كما قال تعالى (ام تحسب أن اكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالانعام بل هم اضل سبيلا)

وقيام الحجة وبلوغها نوع، وفهمها نوع آخر. وكفرهم الله ببلوغها إياهم مع كونهم لا يفهموها (٣) وإن اشكل عليكم ذلك فانظروا قوله ﷺ في الخوارج (اينما لقيتموهم فاقتلوهم ، مع كونهم في عصر الصحابة ، ويحقر الانسان عمل الصحابة معهم .

ومع اجماع الناس فان الذي اخرجهم من الدين هو التشديد والاجتهاد وهم يظنون انهم يطيعون الله ، وقد بلغتهم الحجة ولكن لم يفهموها (٣)

وكذلك قتل علي رضي الله عنه الذين اعتقدوا فيه الآلهية ، وتحريقهم بالنار، مع كونهم تلاميذ الصحابة ومع عبادتهم وصلاحهم وهم ايضاً يظنون انهم على حق .

وكذلك اجماع السلف على تكفير اناس من غلاة القدرية وغيرهم مع كثرة علمهم وشدة عبادتهم ، وكونهم يظنون انهم يحسنون صنعا ، ولم يتوقف احد من السلف في تكفيرهم لأجل انهم لم يفهموا ، فإن هؤلاء كلهم لم يفهموا، انتهى كلامه رحمه الله.

---

(٣) مسألة الخوارج ليست في اصول الدين الاعتقادية، بل هي في مسائل عملية ؛ وقد اختلف السلف في عذرهم بالاجتهاد فيها وعدمه؛ والإمام علي ، اصحابه لم يكفروهم ، بل قاتلوهم بخروجهم عليهم ، وعن احمد وشيخ الاسلام بن تيمية يرجحا عدم التكفير.

إذا تقرر هذا فنقول

هؤلاء الذين ماتوا قبل ظهور هذه الدعوة الاسلامية، وظاهر حالهم الشرك بالله لا نتعرض لهم ؛ ولا نحكم بكفرهم ولا بإسلامهم .

بل نقول (من بلغته هذه الدعوة المحمدية، فان انقاد لها ووحد الله وعبده وحده لا شريك والتزم شرائع الاسلام ، وعمل بما امره الله وتجنب ما نهاه عنه ، فهذا من المسلمين الموعودين بالجنة في كل زمان ، وفي كل مكان .

وأما من كانت حاله حال اهل الجاهلية لا يعرف التوحيد الذي بعث الله رسوله يدعو اليه، ولا الشرك الذي بعث الله رسوله ينهى عنه ويقاتل عليه ، فهذا لا يقال انه مسلم لجهله ، بل من كان ظاهر عمله الشرك بالله فظاهره الكفر فلا يستغفر له، ولا يتصدق عنه ، ونكال حاله الى الله الذي يبلو السرائر ، ويعلم ما تخفي الصدور ، ولا نقول فلان مات كافرا، لانا نفرق بين المعين وغيره؛ فلا نحكم على معين بكفر ، لانا لا نعلم حقيقة حاله وباطن أمره ، بل ذلك الى الله، ولا نسب الاموات، بل نقول أفضوا إلى ما قدموا، وليس هذا من الدين الذي امرنا الله به ، بل الذي امرنا به ان نعبد الله ولا نشرك به ، ونقاتل من نكل عن ذلك بعد، ما ندعوه الى ما دعاه اليه رسول الله ﷺ ، فاذا أصر وعاند كفرناه وقاتلناه .

فينبغي للطالب ان يفهم الفرق بين المعين وغيره ، فنكفر من دان بغير الاسلام جملة، ولا نحكم على معين بالنار؛ ونلعن الظالمين جملة ، ولا نخص معينا باللعنة : كما قد ورد في الاحاديث من لعن

السارق ، وشارب الخمر ؛ فنلعن من لعنه رسول الله ﷺ ، ولا نخص شخصا بلعنة .

يبين ذلك ان رسول الله ﷺ لعن شارب الخمر جملة .

ولما جلد رجلا قد شرب الخمر قال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر مايؤتى به الى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ لاتلعنوه فوالله ماعلمت إلا أنه يحب الله ورسوله .

فصل

وأما قوله : ومنها انكثيرا من العلماء الكبار فعلواهذا الامر وفعلت بحضرتهم ولم ينكروا .

من ذلك تتابعهم على بناء القباب على القبور. واتخاذهاأعياد في الغالب ، ولكل شيخ يوم معروف في شهر معلوم يؤتى اليهمن النواحي ، وقد يحضر بعض العلماء ولاينكر .

فالجواب من وجوه:

الوجه الاول:أن يقال قد افترض الله على العلماء طاعةرسوله ﷺ ، وأخبر أن من اطاعه فقد اطاع الله .

فقال تعـالى « من يطع الرسول فقد اطاع الله »

وقال « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله »

وقال « وإن تطيعوه تهتدوا »

وقال (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا)

وقال (يأيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)

فاذا اختلف الناس في شيء من امور الدين، هل هو واجب او محرم او جائز، وجب رد ما وقع فيه النزاع والاختلاف الى الله والرسول.

ويجب على المؤمن إذا دعي الى ذلك ان يقول سمعا وطاعة .

قال تعالى « إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا)

فنحن نحاكم من نازعنا في هذه المسألة وغيرها من المسائل الى الله والرسول لا الى اقوال الرجال وآرائهم .

فنقول : لمن أجاز بقاء القباب على القبور بالجص والآجر وأسرجها، وفرشها بالرخام، وعلق عليها القناديل الفضة وبيض النعام وكساها كما يكسى بيت الله الحرام، هل أمر رسول الله ﷺ بهذا وحث عليه ، أم نهى عنه وامر بازالة ماوضع من ذلك عليه ، فما امرنا به إئتمرنا ، وسنته هي الحاكمة بيننا ، وبين خصومنا في محل النزاع .

فنقول : قد ثبت في صحيح مسلم عن ابي الهياج الاسدي قال قال لي علي بن ابي طالب رضي الله عنه (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ان لا ادع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته .

وفي صحيحه ايضاً عن ثمامة بن شفي الهمداني : قال كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم فتوفى صاحب لنا ، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوي ، ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها

وفي صحيحه ايضاً عن جابر بن عبدالله قال نهى رسول الله ﷺ ان يجصص القبر ، وان يقعد عليه ؛ وان يبنى عليه .

وروى ابو داواد في سننه ان رسول الله ﷺ نهى ان تجصص القبور وأن يكتب عليها ، قال الترمذي حديث حسن صحيح .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج رواه الامام احمد واهل السنن .

فنهى رسول الله ﷺ عن البناء عليها، وامر بهدمه بعدما يبنى.

ونهى على الكتابة عليها ، ولعن من اسرجها .

فنحن نأمر بما أمر به ﷺ من تسويتها .

وننهى عن البناء عليها ؛ كما نهى عنه رسول الله ﷺ . فهو الذي افترض الله علينا طاعته ، واتباعه : وأما غيره فيؤخذ من قوله ويترك : كما قال الامام مالك (كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ .

وقال الامام احمد لاتقلد في دينك احدا، ماجاء عن النبي ﷺ واصحابه فخذه ، ثم التابعين بعد فالرجل فيهم مخير .

وقال ايضاً لاتقلدوني ، ولا تقلدوا مالكا ولا الثوري ولا الاوزاعي وخذوا من حيث اخذوا .

والعجب ممـن يسمع هذه الآحاديث عن رسول الله ﷺ في النهي عن تعظيم القبور وعقد القباب عليها بالجص والآجر واسراجها ولعن من اسرجها، ثم يقول فعلت هذه الامور بحضرة العلماء الكبار ولم ينكروا ، كأنه لم يسمع ماجاء عن رسول الله ﷺ في ذلك : قال ابن عباس رضي الله عنهما (يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء) اقول قال رسول الله ﷺ وتقولون قال ابو بكر وعمر

وقال الامام احمد: عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون الى رأي سفيان ؛ والله يقول : (فليحذر الذي يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم)

أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك، لعله اذا رد بعض قوله : أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك .

واذا كان هـذا كلام ابن عباس فيمن عارض السنة بقول أبي بكر وعمر، وكلام احمد فيمن ذهب الى رأي سفيان، فكيف بمن عارض السنة بقول فلان وفلتان .

وقد روى البيهقي عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ إن اشد ما اتخوف على امتي ثلاث، زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن ودينا تقطع اعناق رجال

ومن المعلوم ان الخوف في زلة العالم تقليده فيهـا ؛ إذ لو لا ذلك لم يخف من زلة العالم على غيره

فإذا عرف انها زلة لم يجز له ان يتبعه فيها باتفاق العلماء ، فانه اتباع للخطاء على عمد .

وقال عمر رضي الله عنه : يفسد الزمان ثلاثة ، أئمة مضلون وجدال منافق بالقرآن والقرآن حق ، وزلة العالم .

فإذا صح وثبت ان العالم يزل ويخطيء لم يجز لأحد ان يفتي ويدين الله بقول لايعرف وجهه : فكيف اذا عارض بقوله او فعله قول رسول الله ﷺ ، او فعله .

الوجه الثاني: ان يقال اذا لم تقنع نفسك، ولم يطمئن قلبك بما جاء عن ﷺ ، وقالت العلماء اعلم منا بالسنة ، واطوع لله تعالى ولرسوله ﷺ .

فنقول: اعلم الناس بما امر به رسول الله ﷺ ومانهى عنه اصحابه رضي الله . فهم اعلم الناس بسنته واطوعهم لأمره، وهم الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ورضي عمن اتبعهم باحسان .

وفي حديث العرياض بن سارية، عن رسول الله ﷺ انه قال: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجد ، واياكم ومحدثات الأمور ، فان كل بدعة ضلالة . وفي الصحيح عنه ﷺ : انه قال خير القرون قرني الذين بعثت فيهم : ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات، فان الحي لاتؤمن عليه الفتنة، أولئك اصحاب محمد ﷺ أبر هذه الامة قلوبا ، واعمقها علما ، واقلها تكلفا ، قوم

اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكو بهديهم ، فانهم كانوا على الصراط المستقيم .

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، يامعشر القراء استقيموا وخذوا طريق من قبلكم، فوالله لقد سبقتم سبقا بعيدا، ولئن اخذتم يمينا وشمالا لقد ظللتم ضلالا بعيدا .

فإذا احتج علينا احد بماعليه المتأخرون .

قلنا الحجة بما عليه الصحابة والتابعون الذين هم خير القرون. لابما عليه الخلف الذين يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرن.

فهؤلا اصحاب الرسول ﷺ ، هل نقل عنهم انهم عقدوا القباب على القبور، او اسرجوها ، او خلقوها ؛ اوكسوها الحرير ام هذا مما حدث بعدهم من المحدثات التي هي بدع وضلالات

ومعلوم ان عندهم من قبور الصحابة الذين ماتوا في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته مالا يحصى .

هل بنوا على قبورهم وعظموها ودعوا عندها وتمسحوا بها فضلا عن ان يسألوها حوائجهم، ويسألوا الله بأصحابها .

فمن كان عنده في هذا اثر صحيح اوحسن، فليرشدنا اليه وليدلنا عليه ، وأنى له ذلك .

فهذه سنة رسول الله ﷺ في القبور وسنة خلفائه الراشدين

وقدروى خالد بن سنان عن ابي العالية ؛ قال لما فتحنا تستر ، وجدفي بيت مال الهرمزان سرير عليه رجل ميت عند رأسه مصحف بالعربية ، فأنا اول رجل من العرب قرأته مثل ماأقرا القرآن ،

فأخذنا المصحف فحملناه الى عمر بن الخطاب فدعاله كعبا فنسخه قال خالد فقلت لابي العالية ؛ ما كان فيه : قال سيرتكم وامورکم ولحون كلامكم ، وماهو كائن بعد ، قلت فما صنعتم بالرجل قال حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كان الليل دفناه وساوينا القبور كلها مع الارض لتعميته عن الناس لاينبشونه ، فقلت وما يرجون منه ، قال كانت السما اذا احبست عنهم ابرزوا السرير فيمطرون ، فقلت من كنتم تظنون الرجل : قال رجل يقال له دانيال ، فقلت منذكم وجدتموه مات، قال منذ ثلاثمائة سنة ،قلت ماكان تغير منه شيء ، قال لا : إلا شعرات من قفاه : ان لحوم الانبياء ، لاتبليها الارض ولاتأكلها السباع ، ففي هذه القصة مافعله المهاجرون والانصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به الناس ،ولم يذروه للدعاء عنده والتبرك به ، ولو ظفروا به هؤلاء المشركون وعلموا حقيقته لبنوا عليه وعظموه وزخرفوا قبره ، واسرجوه وجعلوه وثنا يعبد .

فانهم قد اتخذوا من القبور اوثانا من لايداني هذا ولايقاربه. بل لعله عدو لله ، واقاموا لها سدنة وجعلوها معابد .

واعتقدوا ان للصلاة عندها والدعاء حولها والتبرك بها فضيلة ليست في المساجد .

ولو كان الامر كما زعموا ، بل لو كان مباحا لنصب المهاجرون والانصار هذا القبر علما ولما اخفوه خشية الفتنة به، بل لدعوا عنده

وبينوه لمن بعدهم : ولكن كانوا اعلم بالله ورسوله ودينـــه من هؤلاء الخلوف، الذين اضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، وصرفوا لغير الله أجل العبادات .

وما احسن ماقال الامام مالك رحمه الله تعالى .

(لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ماأصلح اولها)

ولكن كلما نقص تمسكهم بسنة نبيهم ﷺ وهديه وسنة خلفائه الراشدين تعوضوا عن ذلك بما احدثوه من البدع والشرك،

ومن له خبرة بما امر به رسول الله ﷺ عند زيارة القبور وما يفعل بها وبما يفعل عندها ، وبما كان عليه الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

ثم وازن بين هديه ﷺ وهدي اصحابه، وبين ماعليه المتأخرون اليوم، ومايفعلونه عند القبور ، تبين له مابينها من التباين والتضاد وعلم ان بينهما من الفرق ابعد مما بين المشرق والمغرب ، كما قيل

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

الوجه الثالث :

ان يقال : قوله، ان كثيرا من العلماء فعلوا هذه الامور، وفعلت بحضرتهم فلم ينكروا ، من ذلك تتابعهم على بناء القبور .

فيقال : بل قد نهوا عن ذلك، وصرحوا بكراهته، والنهي عنه ؛ وهذه كتبهم بأيدينا مصرحة بما ذكرنا ،

ونحـــن نسوق عباراتهم بألفاظها .

فأما كلام الحنابلة :ـ

فقال في الاقناع : ويستحب رفع القبر قدر شبر، ويكره فوقه ويكره البناء عليه سواء لاصق البناء الأرض أو لا، ولو في ملكه من قبة او غيرها للنهي عن ذلك .

وقال ابن القيم رحمه الله في اغاثة اللهفان ، ويجب هدم القباب التي على القبور ، لأنها اسست على معصية الرسول ﷺ وهو في المسبلة اشد تحريما : قال الشيخ هو غاصب ؛ وقال ابـو حفص تحرم الحجرة بل تهدم ، وهو الصواب انتهى كلامه في الاقناع .

هذا والذي ذكره ، ذكره، غير واحد من أئمـة الحنابلة ، فلا حاجة الى الإطالة بنقل عباراتهم .

وأما كلام الشافعيه :ـ

فقال الاذرعي رحمه الله في قوت المحتاج : الى شرح المنهـاج عند قول المؤلف ، ويكره تجصيص القبر والبناء والكتابة عليـه، ثبت في صحيح مسلم النهي عن التجصيص والبناء .

وفي الترمذي وغيره النهي عن الكتابة .

وعبارة الحلوانية ممنوع منها : وعبارة القاضي ابن كج ،ولا يجوز ان تجصص القبور ، ولا ان يبنى عليها قباب ولاغير قباب.

وقال ابو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا ابوبكر ابن ابي شيبة حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا جعفر بن ابراهيم من ولد ذي الجناحين

حدثنا علي بن الحسين أنه رىء رجلا يجيء الى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه ، فقال : ألا أحدثكم حديثا سمعته من ابي عن جدي عن رسول الله ﷺ، قال لاتتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبورا، وسلموا علي فان تسليمكم يبلغني اينما كنتم ، رواه ابو عبدالله محمد بن عبد الواحد المقدسي في مختاراته التي اختارهامن الاحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين

وقال سعيد بن منصور في السنن حدثنا حبان بن علي حدثني محمد بن عجلان عن ابي سعيد مولى المهدي قال : قال رسول الله ﷺ لاتتخذوا بيتي عيداً ولا بيوتكم قبورا ، وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني .

وقال سعيد حدثنا عبد العزيز بن محمد اخبرني سهيل ابن ابي سهيل قال : رآني الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عند القبر فناداني ـ وهو في بيت فاطمة يتعشى ـ فقال هلم الى العشاء . فقلت لااريده، فقال مالي رأيتك عند القبر فقلت سلمت على النبي ﷺ ، فقال إذا دخلت المسجد فسلم ، ثم قال : ان رسول الله ﷺ قال : لاتتخذوا قبري عيداً ، ولا تتخذوا بيوتكم مقابرا لعن الله اليهود والنصاري اتخذوا قبور انبياءهم مساجد ، وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم : ماانتم ومن بالأندلس إلا سواء .

فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث .

لاسيما وقد احتج به من ارسله ؛ وذلك يقتضي ثبوته عنده .

هذا لو لم يكن روي مسندا من وجوه غير هـذا ؛ فكيف وقد تقدم مسندا .

ووجه الدلالة منه ان قبر الرسول ﷺ أفضل قبر على وجه الارض ، وقد نهى عن اتخاذه عيدا ، فقبر غيره أولى بالنهي . كائنا من كان .

ثم انه قرن ذلك بقوله (ولا تتخذوا بيوتكم قبورا) أي لاتعطلوها من الصلاة فيها ، والدعاء ، والقراءة ، فتكون بمنزلة القبور فأمر بتحري النافلة في البيوت ، ونهى عن تحري العبادة عند القبور ، وهذا ضد ماعليه المشركون .

ثم انه عقب النهي عن اتخاذها عيدا بقوله :

(وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني)

يشير بذلك الى ان ماينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم ، فلاحاجة إلى إتخاذه عيدا.

وقد حرف هذه الاحاديث بعض من اخذ شبها من النصارى بالشرك ؛ وشبها من اليهود بالتحريف ، فقال هذا امر بملازمة قبره ، والعكوف عنده واعتياد قصده وانتيابه ، ونهى ان يجعل كالعيد الذي يكون من حول الى حول ، بل اقصدوه كل ساعة ووقت : وهذا مراغمة ومحادة ومناقضة لماقصده الرسول ﷺ . وقلب للحقائق ونسبة للرسول ﷺ الى التدليس والتلبيس ، والتناقض ، فقاتل الله اهل الباطل أنى يؤفكون .

ولاريب ان ارتكاب كل جريمة بعد الشرك أسهل اثماً واخف عقوبة من تعاطي مثل ذلك في دينه وسنته، وهكذا غيرت أديان الرسل ، ولولا ان الله اقام لدينه انصارا واعوانا يذبون عنه لجرى عليه ماجرى على الاديان قبله .

ولو اراد رسول الله ﷺ ماقاله الضلال لم ينه عن اتخاذ قبور الانبياء مساجد ؛ ويلعن فاعل ذلك .

فانه اذا لعن من اتخذها مساجد يعبد الله فيها ، فكيف يأمر بملازمتها والعكوف عندها ، وان يعتاد قصدها وانتيابها ، ولا تجعل كالعيد الذي يجعل من حول الى حول ، وكيف يسأل ربه ان لايجعل قبره وثناً يعبد، وكيف يقول اعلم الخلق بذلك .

(ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن خشي ان يتخذ مسجدا)

وكيف يقول (لاتجعلوا قبري عيدا، وصلوا علي حيثما كنتم)

وكيف لايفهم اصحابه واهل بيته من ذلك مافهم هؤلاء الضلال الذين جمعوا بين الشرك والتحريف .

وهذا افضل التابعين من اهل بيته علي ابن الحسين رضي الله عنه نهى ذلك الرجل ان يتحرى الدعاء عند قبره ﷺ بالحديث وهو الذي رواه وسمعه من ابيه الحسين عن جده علي رضي الله عنه .

وهو اعلم بمعناه من هؤلاء الضلال .

وكذلك ابن عمه الحسن بن الحسن شيخ اهل بيته : كره أن يقصد الرجل القبر اذا لم يرد المسجد، ورءى أن ذلك من اتخاذه عيدا .

فانظر الى هذه السنة كيف مخرجهـا من اهل البيت : وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قـرب نسبي، وقرب الدار لأنهم الى ذلك أحوج من غيرهم وكانوا له اضبط .

والعيد إذا جعل اسما للمكان فهو المكان الذي يقصد للاجتماع فيه وانتيابه للعبادة عنده، او لغير العبادة .

كما ان المسجد الحرام ومزدلفة وعرفة جعلها الله عيدا مثابـة للناس وأمنا يجتمعون فيها ؛ وينتابونها للدعاء والذكر والنسك ، وكان المشركون لهم أمكنة ينتابونها للاجتماع عندها ، فلما جاء الاسلام محى ذلك كله .

فصل

واعلم ان في اتخاذ القبور أعيادا من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها الا الله، ما يغضب لأجله كل من في قلبه وقار لله وغيرة على التوحيد

فمن ذلك الصلاة اليها ، والطواف ، وتقبيلها ، واستلامهـا ، وتعفير الخدود على ترابها؛ والاستعانة بأصحابها، وسؤالهم الرزق والنصر، والعافية، وقضاء الديون، وتفريج الكربات، واغاثة الهفات وغير ذلك من انواع الطلبات ، التي كان عباد الأصنام يسألونها أوثانهم، وهذا هو عين الشرك الاكبر الذي بعث الله رسوله ينهى عنه ويقاتل أهله، ومن مات عليه كان من أهل النار : عياذاً بالله من ذلك وكان مبدأ هذا الداء العظيم في قوم نوح لما غلو في الصالحين ، كما اخبر الله عنهم في كتابه : حيث قال : (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ، ولا يغوث ويعوق ونسرا)

قال ابن جرير : وكان من خبر هؤلاء ما حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس؛ أن يغوث ويعوق ونسرا كانوا قوما صالحين من بني آدم وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال اصحابهم لو صورناهم كان اشوق لنا الى العبادة اذا ذكرناهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم ، وبهم يسقون المطر فعبدوهم .

وقال غير واحد من السلف كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم .

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور ، وفتنة التماثيل ، وهما الفتنتان اللتان اشار اليهما النبي ﷺ لما ذكرت له أم سلمة كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور ، فقال : (أولئك إذا مات فيهم العبد الصالح، أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ؛ أولئك شرار الخلق عند الله .

وهذا كان سبب عبادة اللات ، فروى ابن جرير باسناده عن مجاهد (أفرأيتم اللات والعزى) قال : كان يلت السويق للحجاج فمات فعكفوا على قبره .

وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس كان يلت السويق للحجاج فقد رأيت ان سبب عبادة يغوث ويعوق ونسرا . واللات انما كان سبب تعظيم قبورهم ؛ ثم اتخذوا لها تماثيل ثم عبدوها .

قال أبو العباس ابن تيمية قدس الله روحه : وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور هي التي أوقعت كثيرا من الأمم .

إما في الشرك الاكبر ، او فيما دونه من الشرك .

فان الشرك بغير الرجل (١) الذي يعتقد صلاحه أقرب الى النفوس من الشرك بخشبة او حجر .

ولهذا تجد أهل الشرك كثيراً يتضرعون عندها ويخشونها ويعبدونها بقلوبهم عبادة لايفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر .

ومنهم من يسجد لها ، واكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها مالا يرجون في المساجد .

فلأجل هذه المفسدة حسم النبي ﷺ مادتها ، حتى نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ، وان لم يقصد ماقصده المشركون سدا للذريعة .

قال : وأما ان قصد الرجل بالصلاة عند القبر تبركا بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ورسوله ، والمخالفة لدينه ، واتباع دين لم يأذن به الله .

فان المسلمين قد اجمعوا على ان الصلاة عند القبور منهي عنها . وانه لعن من اتخذها مساجد .

ومن اعظم المحدثات واسباب الشرك الصلاة عندها ، واتخاذها

---

(١) كذا بالأصل : ولعله فان الشرك بالرجل الذي يعتقد صلاحه .

مساجد ، وبناء المساجد عليها ، وقد توارت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك ، والتغليظ فيه ، بل نهى عن ذلك في آخر حياته : ثم انه لعن وهو في السياق من فعل ذلك من اهل الكتاب ليحذر أمته ان يفعلوا ذلك .

قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ في مرضه الذى لم يقم منه (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد) ولولا ذلك لأبرز قبره غير انه خشي ان يتخذ مسجدا متفق عليه

وأبلغ من هذا انه نهى عن الصلاة الى القبر فلا يكون القبر بين المصلي وبين القبلة .

فروى مسلم في صحيحه عن ابي مرثد الغنوي أن رسول الله ﷺ قال : لاتجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها .

وفي هذا ابطال قول من زعم ان النهي عن الصلاة فيها لأجل النجاسة ، فهذا أبعد شيء عن مقاصد رسول الله ﷺ وهو باطل من عدة أوجه .

منها ان الاحاديث كلها ليس فيها فرق بين المقبرة الحديثة والمنبوشة ، كما يقوله المعللون بالنجاسة .

ومنها انه ﷺ لعن اليهود والنصارى على اتخاذ قبور انبيائهم مساجد .

ومعلوم قطعاً ان هذا ليس لأجل النجاسة لأن قبور الانبياء من اطهر البقاع ، وليس للنجاسة عليها طريق ، فان الله حرم على الارض ان تأكل اجسادهم ، فهم في قبورهم طريون .

ومنها أنه نهى عن الصلاة إليها .

ومنها أنه اخبر ان الارض كلها مسجد الا المقبرة والحمام ولو كان ذلك لاجل النجاسة ، لكان ذكر الحشوش والمجازر اولى من ذكر القبور .

ومنها انه لعن المتخذين عليها المساجد والسرج ، ولو كان لاجل النجاسة لأمكن ان يتخذ عليها المسجد مع تطيينها بطين طاهر ، وهذا باطل قطعا .

وبالجملة فمن له معرفة بالشرك واسبابه ، وفهم عن الرسول مقاصده جزم جزما لايحتمل النقيض ؛ ان هذه المبالغة ، واللعن ، والنهي ليس لاجل النجاسة ، بل هو لاجل الشرك .

فان هذا وامثاله منه ﷺ صيان لحمى التوحيد ، فأبى المشركون الامعصية لأمره وارتكابا لنهيه .

ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور ، وما امر به ، وما نهى عنه ، وبين ماعليه اكثر الناس اليوم رأى احدهما مضادا للآخر مناقضا له .

فانه نهى عن الصلاة اليها ، وهؤلاء يصلون عندها .

ونهى عن اتخاذها مساجد ، وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله .

ونهى عن ايقاد السرج عليها ، وهؤلاء يوقفون الوقوف على ايقاد القناديل عليها .

ونهى ان تتخذ عيدا ، وهؤلاء يتخذونها اعيادا ومناسك يجتمعون لها كاجتماعهم للعيد او اكثر .

وامر بتسويتها ، وهؤلاء يرفعونها ويبنون عليها القباب .

ونهى عن الكتابة عليها ، وهؤلاء يكتبون عليها القرآن وغيره .

ونهى ان يزاد عليها غير ترابها ؛ وهؤلاء يزيدون سوى التراب الآجر والاحجار ، والجص .

فأهل الشرك مناقضون لما امر به الرسول ﷺ في اهل القبور وفيما نهى عنه ، محادون له في ذلك .

فاذا نهى الموحدون عما نهى عنه رسول الله ﷺ من تعظيمها والصلاة عندها وإسراجها والبناء عليها والدعاء عندها ؛ وما هو اعظم من ذلك ، مثل بناء المساجد عليها ودعائها وسؤالها قضاء الحاجات ؛ وإغاثة اللهفات ، عضب المشركون ، واشمأزت قلوبهم وقالوا قد تنقص اهل الرتب العالية ، وزعم انهم لاحرمة لهم ولا قدر .

وسرى ذلك في نفوس الجهال الطغام حتى عادوا اهل التوحيد ورموهم بالعظائم ؛ ونفروا الناس عن دين الاسلام ووالوا أهل الشرك وعظموهم .

(ويأبى الله إلا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

فصل

وأما قوله (فلكل شيخ يوم معروف؛ في شهر معلوم، يؤتى اليه من النواحي ؛ وقد يحضر بعض العلماء فلاينكر) .

فنقـول : أما قوله : فلكل شيخ يوم معروف في شهر معلوم : فقد قدمنا الجواب على ذلك ، وبينا إن ذلك من اتخاذها اعيادا ، وانه مما نهى عنه رسول الله ﷺ .

فان العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان .

فالزمان كقوله ﷺ (يوم عرفة ،ويوم النحر ، وايام منى ، عيدنا أهل الاسلام) رواه ابو داود وغيره .

وأما المكان فكما روى ابو داود في سننه ان رجلا قال : يارسول الله إني نذرت أن أنحر إبلا ببوانة ، فقـال (ابها وثن من اوثان المشركين ، أو عيد من اعيادهم) قال لا ، قال (فأوف بنذرك) وكقوله : (لاتجعلوا قبري عيدا) فالعيد مأخوذ من المعاودة والاعتياد فاذا كان اسما للمكان فهو المكان الذي يقصد الاجتماع فيه ،واتيانه للعبادة او لغيرها ؛ كما ان المسجد الحرام ،ومنى ، ومزدلفة ،وعرفة ، والمشاعر جعلها الله عيدا للحنفاء كما جعل ايام التعبد فيها عيدا .

فاتيان القبور في يوم معلوم ؛من شهر معلوم ، والاجتماع لذلك بدعة لم يشرعها رسول الله ﷺ ، ولم يفعلها الصحابة ولا التابعون لهم باحسان ، سواء ذلك في البلد او خارجا عنه .

وأما قوله يؤتى اليه من النواحي ؛ فنقول :

وهذا ايضاً بدعة مذمومة لم يفعلها الصحابة ولا التابعون لهم باحسان ، وبيان ذلك ان زيارة القبور نوعان :

زيارة شرعية ، وزيارة بدعية شركية .

فالزيارة الشرعية مقصودها ؛ ثلاثة اشياء :

احدها تذكيرا لآخرة ، والإتعاظ ، والإعتبار .

والثاني الإحسان إلى الميت في ان لا يطول عهده به فيهجره ويتناساه فاذا زاره واهدى اليه هدية من دعاء ، أو صدقة ، سر الميت بذلك كما يزور الحي من يزوره ويهدي له .

ولهذا شرع النبي ﷺ للزائر ان يدعو لأهل القبور بالمغفرة والرحمة ولم يشرع ان يدعوهم ولا يدعو بهم ، ولا يصلي عندهم .

الثالث احسان الزائر الى نفسه ، باتباع السنة ، والوقوف عند ما شرعه الرسول ﷺ .

وأما الزيارة البدعية الشركية فأصلها مأخوذ من عبادة الاصنام.

وهو ان يقصد قبر صالح في الصلاة عنده ، او الدعاء عنده والدعاء به ؛ او طلب الحوائج منه ، او الأستغاثة به ، ونحو ذلك من البدع التي لم يشرعها رسول الله ﷺ ، ولا فعلها احد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان : كما تقدم بيانه مبسوطا .

ثم اعلم ان الزيارة هي التي لا تشد لها الرحال : فان كانت تشد رحال فهي زيارة بدعية لم يأمر بها رسول الله ﷺ ، ولا فعلها الصحابة ؛ بل قد نهى عنها رسول الله ﷺ : كما ثبت عنه في الصحيحين أنه قال : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد :

المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا ، وهذا الحديث اتفق الأئمة على صحته ، والعمل به .

فلو نذر رجل ان يصلي في المسجد اويعتكف فيه اويسافر اليه لم يجب عليه ذلك باتفاق الائمة .

حتى نص بعض العلماء على ان لايسافر الى مسجد قباء ، لأنه ليس من الثلاثة ، مع ان مسجد قباتستحب زيارته لمن كان بالمدينة لأن ذلك ليس بشد رحل . كما في الصحيح (من تطهر في بيته ثم اتى مسجد قباء لايريد الا الصلاة فيه كان كعمرة)

قالوا : ولان السفر لزيارة الأنبياء وقبور الصالحين بدعة لم يفعلها احد من الصحابة والتابعين ، ولا امر بها رسول الله ﷺ ، ولا استحسنها احد من أئمة المسلمين ، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها فهو مخالف للسنة .

وانما اختلف العلماء أتباع الائمة في الجواز بعد اتفاقهم انه ليس مشروعا ولا مستحبا .

فالمتقدمون منهم قالوا لايجوز السفر اليها ، ولاتقصر الصلاة في هذا السفر لانه معصية ، وهذا قول ابي عبد الله بن بطة ؛ وابي الوفاء ابن عقيل وطوائف كثيرة .

وذهب طائفة من متأخري أصحاب احمد والشافعي الى جواز السفر اليها كأبي حامد الغزالي وابن عبدوس ، وابي محمد المقدسي .

وأجابوا عن حديث (لاتشد الرحال) بأنه لنفي الاستحباب والفضيلة .

ورد عليهم الجمهور من وجهين .

أحدهما ان هذا تسليم منهم ان هـذا السفر ليس بعمل صالح ولاقربة ، ولا طاعة .

ومن اعتقد ان السفر لزيارة القبور قربة وطاعة، فقد خالف الاجماع واذا سافر لاعتقاده بأنه طاعة فان ذلك محرم باجماع المسلمين فصار التحريم من جهة اتخاذه قربة ؛ ومعلوم أن أحـدا لايسافر اليها إلا لذلك .

وأما اذا قصد بشد الرحل غرض من الاغراض المباحة فهذا جائز .

الوجه الثاني : ان النفي يقتضي النهي ، والنهي يقتضي التحريم .

والاحاديث التي تذكر في زيارة قبر النبي ﷺ ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث .

بل هي موضوعة فليس في زيارة قبر النبي ﷺ حديث صحيح ولا حسن : ولا روى أهل السنن المعروفة كسنن ابي داود والنسائي وابن ماجة في ذلك شيئا ، بل ولا أهل المسانيد المعروفـة كمسند احمد وابي داود الطيالسي ، وعبد بن حميد وغيرهـم ؛ ولا أهل المصنفات المعروفة كموطأ مالك وغيره ، بل لما سئل الامام احمد وهو أعلم الناس في زمانـه بالسنة عن هذه المسألة لم يكن عنـده مايقيمه عليها ؛ إلا حديث ابي هريرة عن النبي ﷺ ، انه قال (ما من رجل يسلم علي الا رد الله علي رووحي حتى ارد عليـه السلام) على هذا اعتمد ابو داود في سننه .

وكذلك مالك في الموطاء روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه كان اذا دخل المسجد: قال (السلام عليك يارسول الله؛ السلام عليك ياابا بكر ؛ السلام عليك يا ابي) ثم ينصرف .

واتفق الائمة على انه اذا دعا بمسجد النبي ﷺ لا يستقبل قبره وتنازعوا عند السلام عليه، فقال مالك واحمد وغيرهما يستقبل قبره ويسلم عليه، وهو الذي ذكره اصحاب الشافعي وأظنه منصوصا عنه، وقال ابو حنيفة يستقبل القبلة ويسلم عليه هكذا في كتب اصحابه

وقال مالك : لا ارى ان يقف عند قبر النبي ﷺ ويدعو ولكن يسلم ويمضي .

ومن رخص منهم في الدعاء عقد قبره ﷺ ، فانما يرخص فيما اذا سلم عليه ، ثم اراد ان يدعو استقبل القبلة؛ اما مستدبر القبر وإما منحرفا عنه. وهو ان يستقبل القبلة ويدعو ولا يدعو مستقبل القبر وهكذا المنقول عن سائر الائمة؛ ليس منهم من استحب للمرء أن يستقبل القبر أعني قبر النبي ﷺ ويدعو عنده ،

فاذا كان هذا حالهم وفعلهم عند قبر النبي ﷺ فكيف بغيره.

ولم يكن على عهد النبي ﷺ ، ولا في عصر الصحابة والتابعين مشهد يقصد بالزيارة ، لا في الحجاز ؛ ولا في الشام، ولا اليمن ولا العراق، ولا خراسان، ولا مصر، بعد ما فتح الله هذه البلاد، وصارت بلاد اسلام .

وانما حدث فيها بعد انقراض عصر السلف ، وصار يوجد في كلام بعض الناس فلان ترجى الاجابة عند قبره؛ وفلان يدعى

عند قبره ، وبعضهم يقول قبر فلان الترياق المجرب ، ونحو ذلك مما لم يكن معروفا في عصر الصحابة والتابعين .

وقائل هذا احسن احواله ان يكون مجتهدا في هـذه المسألة ؛ أو مقلدا فيعفوا الله عنه .

أما أن هذا الذي قاله يقتضي استحباب ذلك فلا .

بل يقال هذه زلة عالم فلا يجوز تقليده فيها اذا عرف انهـا زلة ، لانه إتباع للخطأ على عمد ؛ ومن لم يعرف انها زلة فهو اعذر من العارف ، وكلاهما مفرط فيما امره به ربه .

قال الشعبي : قال عمر رضي الله عنه يفسد الزمان ثلاثة ، أئمة مضلون ؛ وجدال المنافق بالقرآن ، والقرآن حق ، وزلة العالم .

وقال معاذ احذروا زيغة الحكيم فان الشيطان قد يقول الظلالة على لسان الحكيم ، وقد يقول المنافق كلمة الحق .

وقال اجتنبوا من كلام الحكيم المشتبهات التي يقال ماهذه ؟ ولا يثنيك ذلك عنه ، فانه لعله يراجـع ، والحق الحق اذا سمعته ، فإن على الحق نورا .

واعلم رحمك الله أن الرجل الجليل الذي له في الاسلام قـدم صادق وآثار حسنة ، وهو من الاسلام وأهله بمكان قد يكون منه الهفوة والزلة ، وهو فيها معذور ، بل مأجور لاجتهاده فلا يجوز ان يتبع فيها ، ولا يجوز أن يغمط مكانه وامامته ومنزلته في قلوب المسلمين قال مجاهد والحكم ومالك وغيرهم ، ليس احد من خلق الله ، إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ .

وقال سلمان التميمي اذا أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله

وقد روى كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزني عن ابيه عن جده قال سمعت رسول الله ﷺ : يقول إني لأخاف على أمتي من بعدي من أعمال ثلاثة ـ قالوا وماهي يارسول الله ؟ قال ـ أخاف عليهم من زلة العالم ، وجدال المنافق بالقرآن ، والقرآن حق . وعلى القرآن منار كأعلام الطريق :

ويكفي اللبيب في هذا ماقصه الله سبحانه في كتابه عن بني اسرائيل مع صلاحهم وعلمهم : انهم بعد ما فلق الله لهم البحر ، واتجاهم من عدوهم أتو نبيهم قائلين (إجعل لنا إلها كما لهم آلهة)

وكذلك ماروى الترمذي وغيره ان أناسا من الصحابة في غزوة حنين أتوا عند النبي ﷺ حين مروا بسدرة للمشركين يعلقون عندها وينوطون بها اسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا يارسول الله اجعل لنا ذات انواط ، فقال : (الله اكبر ، إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اجعل إلها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون) لتركبن سنن من كان قبلكم .

فاذا كان هذا قد خفي عليهم مع وضوحه وبيانه ، وقبلهم قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم ، وقد اختارهم الله على علماء زمانهم (١) وخفي عليهم هذا ، وقالوا ياموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة).

---

(١) ان الاعتبار في محله وان كان بنو إسرائيل قالوا عقب خروجهم من مصر ، وقيل نزول التوراة ، وكانت الوثنية المصرية غالبة عليهم =

فهذا يفيد ان المسلم بل العالم قد يقع في اشياء من الشرك وهو لا يدري ، فيفيد الحرص وبذل الجهد في البحث عما جاء عن الله ورسوله .

ولا يقلد دينه الرجال ، فانهم لن يسلموا أن يغلطوا ، وابى الله أن يصلح إلا كتابه ، وأن يعصم إلا رسوله .

واذا اشتبه الحق في هذا الباب وغيره فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ انه كان يقول اذا قام يصلي من الليل (اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

= ولكنهم علموا أن موسى عليه السلام دعا فرعون وقومه الى عبادة الله وحده ، وشاهدوا الآيات الدالة على صدقه ، وكأنهم ظنوا أن الإله الذي يجعله لهم لاينافي عبادته وحده ، كما يظن القبوريون من المسلمين اليوم بجهلهم . وقد قال لهم موسى (انكم قوم تجهلون ، إن هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ماكانوا يعملون) ولم يمنعهم هذا العلم من عبادة العجل بعد ذلك .

« فهرس اجمالي لارشاد المسلمين »

«(في الرد عـــلى القبوريين)»

٣ ــ مقدمة عن المؤلف والرسالة

٦ ــ سؤال مغالطة في دعاء غير الله

٧ ــ جواب السؤال بتفصيل بالادلة الشرعية

٩ ــ الادلة على ان الدعاء مخ العبادة، وانه لايصلح إلا لله

١٢ ــ لاخلاف بين العلماء ان من دعى غير الله مشرك كافر حلال الدم والمال إن لم يتب .

٢٠ ــ من اصغى الى كتاب الله علم أن دعاء الموتى من اعظم الشرك بحث تفصيلي في الوسائط بين الله وخلقه

٢٨ ــ بيان الشرك الاكبر، وذكر واقع المشركين المؤلم من تعظيم الأوثان اعظم من رب العالمين

٣١ ــ من أسباب المروق من الدين الغلو في الصالحين

٣٣ ــ الرد على السائل ذهابه الى ان دعاء غير الله شرك اصغر
٣٤ ــ بيان تفصيلي للشرك الأصغر
٣٦ ــ الاستغاثة بأهل القبور لم تبح في جميع الشرائع
٣٨ ــ الفرق بين الدعاء ، والاستغاثة ، والحلف بغير الله
٣٩ ــ الرد على السائل جعله دعاء الموتى في الاعتقاد كالطيره بتفصل
٤١ ــ تحقيق حديث الضرير ــ وحديث ياعباد الله احبسو
٤٥ ــ الرد على من استدل بهذين الحديثين على جواز دعاء الموتى بأن الرسول يأمر بالشرك تارة وينهى عنه تارة وهذا لايصح
٤٨ الأجوبة على حديث الاعمى ، والادلة على ضعفه
٥٠ ــ بحث هل يجوز التوسل بالنبي خاصة ، أم لا
٥٨ ــ مايفعل عند القبور انواع من البدع
٦٨ ــ الرد على من جعل العوام معذورين في دعاء غير الله وتفصيل القول في ذلك
٧٤ ــ الرد على من استدل على جواز البناء على القبور بسكوت العلماء
٨١ ــ كلما نقص التمسك بالسنة أحدث الناس بدعة
٨٢ ــ النهي عن البناء على القبور وأدلة ذلك

٨٤ ــ الرد على من حرف هذه الأداة
٨٦ ــ اتخاذ القبور اعيادا فيه مفاسد عظيمة كثيرة
٨٨ ــ اتخاذ القبور مساجد هو الذي أوقع الأمم في الشرك
٨٨ ــ الاجماع على ان الصلاة عند القبور منهي عنها
٨٩ ــ الرد على من قال ان النهي عن الصلاة عند القبور للنجاسة
ماعلله اهل القبور محادة لله ولرسوله ومخالف لما عليه الصحابة
٩٣ ــ تفصيل زيارة القبور الشرعية ، والبدعية
٩٥ ــ تفصيل في الاحاديث المروية في زيارة قبر النبي ﷺ
٩٦ ــ بيان أن المشاهد لم تكن في عهد الصحابة والتابعين بل هي محدثة
٩٧ ــ تفصيل القول في الزلة من العالم

تم الفهرس باجمال واختصار

مؤسسة النور للطباعة والتجليد

ترى لزاماً عليها توسيع نشر كتب العقيدة والتمسك بالدين

وقد نشرت بتوفيق الله رسائل كثيرة جدا : والمتبقي عندها تحت طلب رواد العلم والمعرفة بأسعار مناسبة ما يلي :

١ كتاب التوحيد ، عليه القول السديد ـ الطبعة الثانية
٢ « كشف الشبهات ـ الطبعة الثالثة بتقديم، وتفصيل، وتعليق
٣ البيان لمرتكبي الطغيان ـ ٤ ثلاثة الاصول
٥ الفتن والملاحم ـ نهاية تاريخ ابن كثير ـ مجلدان .
٦ مختصر الروضة ـ في اصول الفقه المسمى (البلبل)
٧ شرح لامية شيخ الاسلام ابن تيمية
٨ (الإحكام في اصول الأحكام للآمدي) أربعة اجزاء
٩ ايضاح مشابهة المشركين ـ ١٠ جزءى هم ـ وتبارك
١١ مبادىء الاسلام ـ عربي وانكليزي
١٢ حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ ١٣ هذه هي الاشتراكية
١٤ رسالة الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود الأول في الدعوة إلى الله
١٥ تطهير الاعتقاد ، بتعليق الشيخ اسماعيل الانصاري
١٦ تذكرة أولي النهي والعرفان وذكر حوادث الزمان ـ تاريخ عصري ظهر منه الجزء الأول والاجزاء الأخيرة تحت الطبع